أسبوع الكتاب

تموز 1964

A-609

مركز الوثائق العربية والمتوسطية

A-609

ENNEJMA EZZAHRA

الجمهورية التونسية

كتابة الدولة للشؤون الثقافية

مصلحة الموسيقى والفنون الشعبية

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
المكتبة الوطنية للتسجيلات الصوتية
رقم الجرد 1521
رقم الترقيم A-609

أسبوع الفن بتوزر

26 ديسمبر 1963 ـ 1 جانفي 1964

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

الكلمة التى القاها السيد كاتب الدولة للشؤون الثقافية والارشاد بمناسبة افتتاحه لاسبـوع الفـن بـتـــوزر

26 ـ 12 ـ 1963

أيهـا الاخـوان :

انى مبتهج بهذا اللقاء معكم فى هذا اليوم المشهود ،وذلك لاعتبارات عديدة أولها اننا نجتمـع فى جهة مـن الجمهورية عزيزة على قلوبنا جميعا ، هذه الجهة هى منطقةالجنوب الباسل الذى ساهم فى معركة التحرير مساهمة الابطال والـذى انبت الاساطين مـن مشاهيـر العلمـاءالتونسيين والعرب وكذلك من مشاهير اعـلام الثقافـة العتيقة التى نفتخر بها كجزء من تراثنا الحضارى · ولا فائدةفى التذكير بهـؤلاء العلمـاء والشعـراء والادبـاء الذين أشهرهم وأقربهم الى قلوبنا ذلك الشاب الذى اشتعل فىليالى الاستعمار وعصر عصارة قلبه وعصـارة فكره فى تلك الابيات الخالدة التى تلى البعض منها عليكم الآن ·

ثـم انه من أهدافنا السامية التى نرمى اليها تيسيرالتعارف بين مختلف عناصر هذه الامة بكافة جهات الوطن قصد تحقيق الادماج الاجتماعى والذهنى والنهوض بكاملأجزاء الامـة التونسية طبقا للخطة التى سنهـا الرئيس بورقيبة لمكافحـة التخلف وتحقيق التنميـة والازدهـاربالنسبـة الى كامـل التراب التـونسى وكامـل الشعب التونسى بجميع مستوياته الاجتماعية ·

على انا نشعر ان هذا الجزء من وطننا الذى هو الجـزءالجنوبى بقى مدة طويلة زمن الاستعمار وقبله بعيدا عـن الحياة الاجتماعية والحياة العصريـة التى دخلت مدننـا ، وحتى بعض القرى من بلادنا وخاصة فى الشمال ونواح كثيرة من الساحـل ·

ولكن نعتقد بان النظام الجديد ، نظام الاستقلال الذىوطد أركانه حزبنا العتيد ، وجه الجزء الكبير وربما الجزء الاعظم من اهتمامه الى النهوض بالنواحى المحرومة سواء فى غرب الجمهورية أو فى جنوبها · والشىء الذى يجب ان نؤكده اليوم هو المكانة العظيمة التى يحتلها الجنـوبفى المخطط العشرى ، سواء فى الميدان الاجتماعى أو فى ميدان استغـــلال الثروات الطبيعية استغـــلالا يمكـنمن ايجاد الشغل ونشر الرفاهية ·

ولاهتمامنا بالجنوب اخترنـا أن ينعقد اسبوع الفن فىهذه الجهة · واسبوع الفن يذكر بعضكم انه انعقد لاول مرة فى العاصمة فى السنة الفارطة ولكن حسب المبدأالذى اتبعته الحكومة فى كامل مجالات نشاطها وهو مبدأ اللامركزية ، نحـاول دائمـا ان لا ينحصر النشـاط فىالعاصمة ولا يقتصر على كبريات المدن حتى تأخذ الجهات النائية حظها من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ·

وفى ذلك عبر أكثر من أن تحصى وأبسطها وأوكدهاتمكين بعض المواطنين من زيارة هذه النواحى القاصيـة اذ الكثيرون لايعرفون هذه الاماكن الجنوبية بل كثيرا مانجد لديهم عدم الرغبة فى معرفة هـذه الاماكن كـأنهم يستنكفـون من أن يقصـدوهـا أو أن يسكنوهـا أو أنيباشروا فيها أعمالهم لقلة المرافق العصرية وغير ذلك من الاسباب والتعلات التى تدل على كسل عقلى وعلى جبـناجتماعى يقعد بالبعض عن مجابهة المشاكل القومية حيثما كانت · ومما يؤسفنا أن نرى الاجانب يقدمون على هذهالصعوبات ويتحملون هذه المشاق بشجاعة وبصدر رحب بينما أبناء الوطن فى كثير من الاحيـان يرغبـون عنهاويكرهون الشغل فيها ، الشغل الـذى يشرفهم والـذى يساهم فى انجاح المعركة الاقتصادية والاجتماعية ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

فهذه المناسبات التى نوجدها بصورة دورية سواء فى الميدان الاجتماعى أو الميدان الثقافى من شأنها أن تحدث تيـارا جديدا فى العقليات والمشـاعر بفضـل الزيارات المتكررة وبفضل اكتشاف ما لهذه الجهات من روعة وجمال طبيعى ٠

هـذا بالاضافة الى فائدة أخرى عظيمة تحصل من جراء عقد مثل هذه الندوات خارج المدن الكبيرة وهى اذكـاء الحيـاة الفكـرية وتحريك النشـاط الثقـافى بمختلف الولايـات ٠

لذلك اعتقد ان انعقـاد اسبوع الفـن بمدينة تـوزرسوف يترك أثرا لا فى الاطـارات الفنيـة فقط بـل فى المـواطنين مهما كـان مستواهم الاجتمـاعى أو الثقافى وسيلفت هذا المهرجان انتباه الجميع الى أهمية الفن والى أحقية انتساب الفن الى الثقافـة ٠

هذه النقطة فى الحقيقة سأعود الى بيانها وتفصيلها فى مناسبات عديدة اذ أعتقـد انها لم تأخذ لحد الآن حظهـا وأعتقد انها لم ترسخ رسوخا كـافيـا فى الاذهان أعنى مسألة ارتباط الفن بالثقافة ٠ فالكثيـر من مواطنينا ، يعتقدون ان الفنون شىء وان الثقافة شىء آخر مغايـر له تماما ، ويعتقدون ان الثقافة هى ما نجده فى الكتب وخاصة القديمة منها فيحصرون بذلك الثقافة فى مفاهيم ذهنية عقلية ٠ بينما الثقافـة فى عصرنا هـذا أصبحت تمتد الى ميادين كنا لمدة قريبة لا نتخذها مأخذ الجد وهى المجالات والميادين التى نسميها بالفن أو بالفنون الجميلة ٠

عندما نقول الفن فى تونس فان الشىء الذى يتبادر الى أذهاننا هو الموسيقى ، ثم الرقص ٠ وبدون شـك هذه عناصر هامة من الفنون ولكن الفن غير مقصور على هذا الميـدان ، الفنون الآن فى الامم الراقيـة تمتد الى الموسيقى والى الغناء والى الرقص والى النحت وتمتد الى ثلة من الاعمال المستظرفة التى تنبع كلها من الثقافة وتمت الى الثقافة لان الثقافة كما يدل اللفظ العربى انما هى تثقيف الانسان أى تهذيب نفس الانسان وازالة مـا قد يكون فى نفس الانسان أو فى طباع الانسان من اعوجـاج ، وهذا الاصلاح للطبيعة البشرية يكـون بصقل الذهن ويكون كذلك بتهذيب الحواس وبتهذيب العواطف

وعندما نشجع الفنون الجميلة ، فانما نقصد الى ان الشخصية البشرية ـ الشخصية الفردية ـ تقوم عـلى عقل وعلى جملة من الحواس والعواطف ٠ ولا نـود أن نفرق فى الشخصيـة الفـردية بين هـذين الركنيـن الاساسيين ٠ وان نحن فرقنا بينهما فانا نحدث اختلالا فى توازن الشخصية البشريـة فلا بد حينئذ أن يكون الانسان متمتعا بهذا التوازن أو هذا الاعتدال بين نموطاقاته العقليـة والفكرية وبين تفتق قواتـه العاطفيـة والحسية ، اذ الانسان جملة من المشاعر الى جانب انـه قوة عقلية نافذة ٠ لذلك نعتقد انه من واجبنا نحو الفرد أن نوجه الثقافة الى مختلف هذه المعانى التى تجعلهـا شاملة كاملة متوازنة فى تركيبها والمثـل التى تقـوم عليهـا ٠

وما قلته عن الانسان باعتباره فردا ، يمكن ان يقال عن المجتمع ، فالمجتمعـات الاسلامية العربية عـاشت طويلا من تاريخها وهى على شبه انخرام فى حياتهـا الروحية ، اذ لا يمكن أن تحصر الحياة الاجتمـاعية فى الامور الجدية أى الامور التى تنتسب الى الثقافة العقلية أو الى الدين أو الى الجد عامة ٠

فكما ان الانسان يحتاج كفرد الى تنمية أريحياتـه الحسية والعاطفية كذلك المجتمع فهو كائن حى ويحتاج الى هذا الركن الاساسى فى حياته وهو الفن والنشاط الفنى المنسوب عادة الى الهزل والبطالة واللعب ٠

فلا بد اذن أن نخرج بمجتمعاتنا من هذا الانخرام فى توازنها حتى نخرج من هذه الورطـة التى ظللنا فيهـا قرونا طويلة وهى اعتبارنا الفن مهلكة وانـزلاقا نحـو انحطاط الاخلاق ونحو الاستهتار ٠

يجب اذن ان ننقذ الفن وان ننقذ الفنانين فى بلادنا بأن نرفع من شأن الفن ومن شأن الفنانين ويجب أن نضطـر الفنانين الى أن يرفعوا مـن مستواهـم ، وأن يرفعوا من فنهم حتى يستطيع الفن فى بلادنا أن يسمو الى وظيفتـه الاجتماعية والثقافيـة التى نجدها لـه فى البلدان الراقية ٠

ولا نجد فى أى بلد من بلدان العالم ثقافة متفتحـة نامية الا وهى قائمة أيضا على الفنون الجميلة الى جانب العلوم والفلسفة والآداب ، ذلك ان هذه الشعوب قـد فهمت وظيفة الفنون الجميلة على وجهها الصحيح وفهمت

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

ان حياة المجتمع ونموه متوقف الى حد بعيد على نمو الفنوالمكانة التى يحتلها الفن · وبذلك نستطيع أن نقول : ان الفن ليس خروجا عن نظـام المجتمع وعـن قوانيـنالمجتمع بـل هو فى الحقيقـة نهوض بالمجتمـع وخدمـة للمجتمع لانه يوفر له النمو والانسجام والتطور الطبيعى نحـو الرقى ·

وذلك يفضى بنا الى الحديث عن الجماهير الشعبية التى توجه كتابة الدولة للشؤون الثقافية والارشاد جزءا كبيـرا من جهودها الـى تثقيفهـا وتربيتهـا · فميادينالتثقيف عندنا كثيرة ووسائل التربية الاجتماعية كثيرة أيضا وأنتـم تعرفون ان من وسـائل النهـوض بهـذهالجماهير أن نلقنهـا الى جانب القراءة والكتابـة أى الى جانب مقاومة الامية أن نلقنها أيضا تذوق الفنون الجميلةالتى تساهم فى تهذيب النفس وتساهـم فى ايقـاظ الشعور وتساهم فى التوعية ·

فالحركة الوطنية كلها ترمى قبـل الاستقلال وبعـدالاستقلال الى الايقاظ والتوعيـة ، والوعى لـه وجـوه مختلفة فليس هو مقتصرا على الوعى الوطنى أوالسياسىبـل الوعى أيضا يكـون اجتماعيا بـأن يفهم الانسـان وظيفته فى المجتمع وواجباته وحقوقه ، والوعى أيضـافى الميدان الاقتصادى بأن يفهم المواطن مكانته فى هـذا الدولاب الكبير ، الدولاب الاجتماعى والاقتصادى ودورهومساهمته فى الانتاج ، والوعى أيضا قد يكون له معنى انسانى عام ، بأن يكون للانسان فكر نير وشخصيـةمتفتحة ، فنحن لا نريد أن نكون أشخاصا آليين يعملون كالآلات ، انما نعتقد ان المجتمع فى خدمة الانسان حتىيكون الانسان متفتحا ناميا متمتعا بجميع حقوقه وبجميع ما يجب أن يتمتع به من غذاء للجسد وللروح ·

لذلك وجهنا جزءا كبيـرا من عنايتنا الى النهـوضبالفنون الشعبية وقد تساءل الكثيرون عن وجه هـذا الاهتمام بالفنون الشعبية وعن هذا الامعان فى اعـلاءكلمة الفن الشعبى ·

وعن هذا السؤال أجبت المـرار العديدة وأعتقـد انالتكرار فى الاجابة عنه مفيد دائما ، لان هذا المعنى لـم يرسخ رسوخا كافيا فى الاذهان · أعتقد ان الفنـونالشعبية هى بمثابة السلم الـذى نحتاج اليه للارتقـاء بجماهيرنا الشعبيـة نحـو تذوق الفن العـالى ونحـوالمساهمة فى التراث الفنى العالمى ·

ولا نستطيع أن نحقق هذا النهوض فى الميدان الفنىالا تدريجيا وعلى مراحل · لـذلك من واجبنا أن نبـدأ بالفنون الشعبية التقليدية التى هى أقرب ما تكون الى نفوس هذه الجماهير ·

ولكن عملنا يهدف الى خطة معينة · فليست عنايتنـــابالفولكلور معناها تمجيد هذا الفولكلور واعتباره شيئا رائعا كاملا · بل هو فى كثير من الاحيان مشوه منقوصتشوبه الشوائب الركيكة أو الثقيلة · ولكن همنا أن نعمد الى تهذيبه وصقله حتى نؤثر بصورة غير مباشرةفى نفوس المواطنين الذين يقبلون عليه · وذلك بشرط ان تكون عملية التهذيب هـذه بالتـدرج وان لا تعمد الىمسخ الفن التقليدى والقفز به دفعة واحدة الى مصـــاف الفنونالعالمية الراقية لاننا اذذاك نكون قد اخطانا الهدفالذى رسمناه لانفسنا وهو تهذيب النفوس من خـــلال تهذيب هذه الفنون ·

وهذا هو اسلوبنا فنحن نجمع هذه الفنون اولا لانهـاتمثل شخصيتنا وتمثل ماضينـا وتقاليدنا فهى من هذه الناحية جديرة بالعناية · ونجمعها ايضا لا لنقدمها كماهى على علاتها ، بل نحاول تقديمها فى مظهر رائق · على انا لانسرف كذلك فى هذا التهذيب ولا نسرع فيه اكثرمن الـلازم ·

واعتقد ان هذه الحركة التهذيبية ان تواصلت علـىهذا النمط ، فان الجمهـور سوف ينضج شيئا فشيئـا حتى يستطيع بعـد مدة ، نأمل ان تكون قصيـرة ، انيسمو الـى تذوق الفنون العالمية كغيـره من الشعوب الراقيـــة ·

هذه هى جملـة المعانى التـى كنت اريد ان احدثكمعنها بمناسبة هذا الاسبـوع ·

قلت فى اولحديثى ان اعتبارات عديدة تجعلنى ابتهجبهذا اللقاء معكم ، ابتهج بأنه يقع فى الجنوب ، ابتهـــج ايضابأنهفى وطن ابى القاسم الشابى ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
EN NEJMA EZZAHRA

كنت حريصا شديد الحرص على ان ادشن بنفسي ونيابة عن فخامة الرئيس الذى تعلمون اهتمامه بالشؤون الثقافية عامة وبالشابى خاصة ـ اذ ساهم هو نفسه فى بناء هذه الدار التى تحمل اسم شاعرنا التونسى بل شاعرنا العربى الذى طبقت شهرته البلاد العربية كلها والذى اصبح اسمه مرادفا لاسم تونس ـ كنت حريصا على ان احضر هذه المناسبة بنفسى ، اولا لمكانة الشابى عندنا جميعا، ومكانته فى ادبنا ، ولانا نرى الشابى نموذجا فريدا للاديب الذى استطاع ان يفهم الادب الفهم العميق ·

فقد كان الادب بالنسبة الى ابى القاسم الشابى ، اولا وبالذات طريقا لاستكشاف الحياة وطريقا للبحث والطلب وفعلا فقد كان ابو القاسم فى هذا الميدان رائدا لعدد من شعراء تونس وغير تونس فى هذا المنهج الغنائى الذى يجعل الادب بحثا عن الحقائق الذاتية او الكونية وبحثا عن المطلق · ولكن الشيء الهام الذى اود ان الفت النظر اليه هو ان ابا القاسم لم يهتم بهذه الناحية فقط لان حصر الادب فى هذه الناحية ـ رغم ما فى هذه الناحية من جمال ومن روعة تضييق له وزيغ به عن احد وجوهه الاصلية ·

فالادب كسائر الحقائق البشرية ليس بشيء بسيط بل هو شيء معقد شيء مركب ونستطيع ان نرجعه الى شيئين والى طلبين ، فالادب بحث او طلب فردى بواسطته تستطيع الشخصية الفردية ان تفصح عما تجيش به من معان ونزعات · ولكن الادب هو فى الآن نفسه اتجاه نحو العالم الخارجى ونحو المجتمع بصفة عامة حتى يشعر الاديب بمنزلته فى الحياة وفى المجتمع ·

فأبو القاسم لم يكن رجلا منسلخا عن مجتمعه بل كان يشعر شعورا عميقا بقيمة شخصه وبفردية ذاته وفى الآن نفسه يشعر بالعبء الاجتماعى الملقى على عاتق كل فرد فى عصر ابى القاسم الشابى وهو تحرير الوطن والاسهام فى الكفاح التحريرى وقد عبر عن هذه المعانى فى ابيات خالدة خلود تلك العبرة التى ضربها فى الادب والثقافة العربية عامة لان الشابى فتح السبيل لعدد من الادباء بعده الى التوفيق بين معانى النفس وشؤون المجتمع ·

لذلك ابتهج بهذه المناسبة وبهذه الفرصة التى تتاح لى اليوم فادشن دار الشابى واقول عنه هذه الكلمات الخاطفة التى لا تفى بعظمته وبعمق ادبه · وانما هذه المعانى يجب ان تفرد لها المحاضرات ولعل اخواننا بيننا يتمكنون من التحدث اليكم عن ابى القاسم وعن ادبه وعن هاته المعانى الخالدة التى امتاز بها ·

واريد ايضا ان الاحظ ان الكثير من الادباء يعتقدون الوفاء لابى القاسم ويعبرون عن اعجابهم به بأن يتبعوا خطاه وينسجوا على منواله ·

وأعتقد ان احسن طريقة لتقدير ابى القاسم الشابى وللتعبير عن اعجابنا به وعن مدى تقديرنا لمساهمته العظيمة فى الادب ، لعل احسن طريقة للبر به والبر بأدبه ان نفهمه فهما عميقا وان نتجاوزه وان نحاول ان نفعل ما قام به هو نفسه بالنسبة لعصره · فقد يكون فى بعض الاحيان من البر ما يظهر فيه عقوق وذلك بالتجاوز والسير قدما فى طريق الثورة المتواصلة حتى نستطيع ان نبقى على جذوة الابتكار وجذوة الخلق التى اشتعل فيها ابو القاسم الشابى ·

فبهذه النفحات الطيبة ـ وذكر ابى القاسم طيب دائما ـ اريد ان اختم هذه الكلمة التى اردتها وجيزة وآسف انها طالت بعض الشيء ·

والسلام عليكم ورحمة الله

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

خطاب السيد والى قفصة فى تدشين اسبوع الفن

ايهـا الاخـــوان :

لقـــد شئتم ان تشاركـوا فـى اسبوع الفن الـذى تقررت اقامته فى النطاق القومى بمدينة توزر ·

ولا يسعنا الا ان نبارك لكم هذه الالتفاتة الساميـة ولا يسعنا كـذلك الا ان نحمد ونشكر لفخامة الرئيس الجليل العناية الفائقة والعطف الابوى الذى ما انفـك يحنو ويغمر بهما هذه المنطقة وكان اختياره لاقامة هذا الاسبوع بهـذه الجهة لا مجرد ارتجال ولم يات عفـواوانما نعتقد ان ذلك املتـه عدة معطيات اهمها حاضـر هذه البلدة وماضيها ومستقبلها من الناحية الفنية ومن الناحية الادبيـة · هذه الجهـة التى انجبت علمـاء من مشاهير الاعلام من علماء الكلام والمنطق واصول الدين ومن فلاسفة الاجتماع ومن الشعراء ورجال الفن والذوق السليم · ويكفيها فخرا انها انجبت شاعـرا فحلا ذاع صيته فى العالم العربى اعنى به المرحوم ابـا القاسم الشابـى الذى اعتقد ان روحه الزكيـة ترفرف فى هذاالمكان ومن هذا النادى المبارك الذى تدشنه فى مهـد ومقر ابى القاسم الشابى · هذ النادى الذى اطلق عليه نادى ابى القاسم الشابى والذى هو على مقربة من مقر سكناه ومن معابـد وحيه والهامه ومن ضريحه الزكـى كل هذه العوامل من شأنها ان تبعث فينا روحا فياضة للنسج على منوال الفقيد الكبير وللسعى الحثيث لرفع معالم الفن بكامل انواعه فى ربوع هذه البلاد وليطمئن شاعرنا ان ما نادى به من يوم مولد حركتنا الحزبيـة المباركة وما امله من انتصار لهذا الشعب · فان الشعب التونسى والحمد لله قد حقق انتصاراته وما كـان يطمح اليه من الخروج بهذا الشعب من الهوة السحيقة التـى كاد ان ينحدر فيها والصعود بـه الى قمم النصـر كل ذلك تحقق الان · اليس هو القائـل :

اذا الشعب يـومـا اراد الحيـــاة　　فـلا بـد ان يستجيـــب القـــدر

وأليس هـو القائـل :

ومـن لا يريـد صعـــود الجبـال　　يعش ابـد الدهـر بيـن الحفـــر

فلتهنـأ يا أبـا القاسم · فنحن فى قيادة المجاهـد الاكبر قد خرجنا والحمد لله من الحفر التى كنا نتخبط فيها وصعدنا الى قمم النصر وما زلنا نطمح الى تحقيق الانتصـارات الكبرى التـى نعمل عـلى تحقيقهـا بفضل خروجنا من التخلف بفضل الثقافة الجديدة التى نأمل ان تشع على بلادنا والمستوحاة من رمز كفاحنا وقائدنا العظيم · لكل هذه الاعتبارات فانـى اعتقد ان اختيـار السيد كاتب الدولة للشؤون الثقافية والاخبار لهذه الجهة لاقامة هذا الاسبوع فى النطاق القومى كان مرتكزا على هذا وعلى غيره من المعطيات ولا يفوتنى فى هذه المناسبة ان ارحب بكـامل السـادة الضيـوف الذين شرفونـا بحضورهم بهذا المهرجـان واننا نقدر بـالغ التقديـر عنايتهم وربما التضحيات التى قاموا بها مساهمة منهم فى الفن ومساهمة منهم فى اذكاء مشعل هذه الرسالـة المقدسة التى لا بد ان تشع على العقلية التونسية وعلى الفكر التونسى حتى ينطلق مما كان مقيدا به من اوهام ومن رواسب خلقتها قرون بالية · لذا فـانى اشكرهم جميعا سواء كانـوا من الفرق المختلفة من كافة انحـاء الجمهورية · وكذلك وبالاخص السادة الادباء والشعراء والسادة الاخـوان رجـال الصحافة ورجـال الاذاعـة والتلفزة وكل من ساهم فى انجاح هذا الاسبوع فاليـه كامل شكرنا وتقديرنا ولا يسعنـى الا ان افسح مجالا للقول للسيد كاتب الدولة للثقافة والارشاد مع تجديدى كامل تشكراتى وكامل تقديرى للجميع ونحن مؤمنون

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

ان هذه الرسالة الفكرية هى الاساس الذى ترتكز عليه كل انطلاقة وكل نهضة بالبلاد فلنجد ولنعمل على نشر هذه الرسالة وعلى تدعيمها وتعميمها فى جميع الاوساط وعلى احياء ما حققه اجدادنا فى السابق ولنكن خير خلف لنعم السلف ٠

والسلام عليكم ورحمة الله ٪

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

اعمال اسبـوع الفن بتوزر ونتائجه
26 ديسمبر ـ 1 جانفى 64

فـــى نهاية مهرجان طبرقة الفنى الذى وقع أواخرجويلية 1963 تقرر اقامة اسبوع للفن بمدينة توزر فـى فصل الشتاء ، وبعـد دراسـة الموضوع والامكانيات المحلية مع السلط بولاية قفصة حـدد تاريخ الاسبوع وبرنامجه المشتمل علـى :

1) مؤتمر للمالوف ، وهو المؤتمر الثانى لهذا الفن اذ ان المؤتمر الاول عقد اثناء مهرجان طبرقة بمشاركة حفاظ المالوف وشيوخه من مختلف مدن الجمهوريـة التونسية ، وتقرر ان يقع التوسع فى المؤتمر الثانـى بدعوة اكبر عدد ممكن من شيوخ المالوف من الجمهوريـة وخارجها لمتابعة اعمال المؤتمر الاول ·

2) ملتقى لمدرسـى الموسيقى بالمعاهـد الثانويـة ومدارس ترشيح المعلمين والمعلمات للتعارف وتنسيق اسلوب العمل فى التعليم الموسيقى وتوحيد المصطلحات الفنية الموسيقيـــة ·

3) تربص للاطارات الجهويـة للموسيقى الوترية والنحاسيـــة ·

4) تربص لهواة التمثيل المسرحى ·

5) تربص لهواة فن الرسم ·

تحضيـــــرات

وقبل بداية الاسبوع بشهر تقريبا تحول الاستـاذ صالح المهدى مدير المعهد الوطنى للموسيقى والتمثيل والرقص ورئيس مصلحة الفنون المستظرفة الى ولايـة قفصة للمفاهمـة مع السلط المحلية فـى الاعـدادات والتحضيرات اللازمـة ·

ورجع الى المكان قبل بداية الاسبوع بيوم ليشرف على التحضيرات بنفسه وانهمك مع السيد والى قفصة ومعتمدى الجهة ورئيس لجنة التنسيق الحزبى وبقية السلط المحلية لتنظيم آخر التحضيرات وبفضل مـا بذلته السلط المحلية المتعاونة من جهود امكن التغلـــب على جميع المصاعب واعداد حوالـى خمسمائة سريـر جاهـز للمبيت واعداد المطاعم اللازمة لاطعام اكثر من خمسمائة شخص يوميا كامل الاسبوع ·

مفاجأة غيـر منتظـــرة

المعروف عن منطقة الجريد انها منطقة صحراويـة جافة لاتزورها الامطـار الا غرارا ولكن فى هـذا العـام انعكست الاية فنـزلت بالجهة امطـار غزيرة يوم 25 ديسمبر واستمرت هذه الامطـار فى الهطول ثلاثة ايام فأفسدت الطرقات وانقطعـت المواصلات بين قفصـة وتوزر انقطاعا تاما لان الطريق هناك غير معبد وكانت مفاجـأة غير منتظـرة وغير سارة ايضـا فقد تجمعت الحافلات الحاملة للوفود من مختلف الولايات فى مدينة قفصة ووجدت السلط المحلية نفسها امام صعوبـات ومشاق نظرا لانعدام المأوى اللازم لتلك الوفود بالمدينة فنشطت لتلافي الحالة واستطاعت فى آخر وقت الحصول على مساعدة شركـة السكك الحديدية بايجاد قطارات خاصة حملت الوفود الى مدينة توزر اذ ان طريق السكة الحديدية بقى مفتوحا لم تنل منه الامطار ·

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

افتتاح الاسبـــوع

ورغم الصعوبات تمكنت جميع الوفود من الوصول الى توزر فى الوقت المحدد وباشر كل فريق اعمالـه فى اليوم الاول للاسبـوع 63/12/26 فاجتمع مؤتمـر المالوف بقاعة نزل (اسبلنديد) بحضور الحفاظ الشيوخ وقد انضم اليهم فى الجلسة الثانية وفد ليبيا الشقيقة المتركب من خمسة شيوخ تحت الرئاسة العامة للاستاذ عثمان الكعاك وقسمت الاعمال الى لجنتين لجنة ادبية تحت رئاسة الاستاذ محمد الحبيب المحامى لمراجعـة نصوص الكلمات الموجودة وتسجيل ما يحفظه الشيوخ ومقابلـة السفن المخطوطة مع بعضهـا ومع المحفوظ ولجنة موسيقية تحت رئاسة الاستـاذ محمد التريكـى لمراجعة موسيقى الكلمات ومقابلة النغمات عند الحفاظ وتسجيل غير الموجود وقد شارك فى المؤتمر نحو 25 شيخـــا ·

وافتتح تربص فى الرسم الذ ى قسم الى فرعين : فرع التصوير الزيتى وانتصب بمدرسة ابن الشباط تحت اشراف الاستاذين : مقنى وصرفاتى وشارك فيه 16 شابا من الهواة وفرع التصويـر المسرحى (الديكـور) تحت رئاسة الاستـاذ ريشار وانتصب بقاعة الافـراح وشارك فيه 20 هاويـــا ·

وافتتح تربص الموسيقـى الوترية تحت اشـراف الاستاذ محمد سعادة بمدرسة ابن الشباط وشارك فيـه 20 شـابـــا ·

كما افتتح تربص الموسيقى النحاسية تحت اشراف الحاج احمـد العريـان وانتصـب بمدرسـة التكوين السريع وشارك فيه 160 شابـــا ·

وتربص فـن التطـريب (الغنـاء) تحت اشـــراف الاستاذين محمد التريكى والطاهر غرسـة وشارك فى المجموعة الصوتية نحو 16 شابـا ·

اما ملتقـى اساتذة الموسيقى بالمدارس الثانويـة فقد افتتح اعماله بمدرسة ابن الشباط وانتخب الاستاذ الطاهر غرسة رئيسا للملتقـــى ·

وافتتحت المحاضرات التوجيهيـة والثقافية بقاعـة الثكنة القديمة التى اقيمت على مسرحها ايضا الحفلات الترفيهية الليلية كامل ايام الاسبوع ·

فى الساعـة السادسـة من مساء يوم الخميس 26 ديسمبر (اليوم الاول من الاسبـوع) حل بمدينة توزر السيد الشاذلى القليبى كاتب الدولة للشؤون الثقافية والارشاد فى قطار خاص ليدشن اسبوع الفن بنفسـه وكان فى صحبته السيد عبد السلام غديرة والى قفصة والسيد عبد العزيز بن لطيـف الكاتب العـام للجنـة التنسيق وكان باستقباله بالمحطة السيد صالح المهدى المشرف على تنظيم اسبوع الفن والسادة معتمد توزر ومعتمد نفطة ورئيس بلدية توزر وعضو لجنة التنسيق بتوزر وجمع من المسؤولين بالجهة ، ومن المحطة قصد الجميع نادى ابى القاسم الشابى الشاعر الخالد الواقع بقرية الشابيـة مسقط رأس الشاعـر التى تبعـد عن مدينة توزر بنحو 1 كلـم وهنـاك استقبلتـه الوفـود المشاركة فى الاسبوع وسكان الجهـة ·

ويقع نادى ابى القاسم الشابى وسط واحة جميلة من النخيل قرب القريـة وكانت تكونت لجنة سنـة 1960 لبناء هذا النادى وقـد زارت هذه اللجنة فخامة رئيس الجمهورية بالمنستيـر بمناسبـة حفلات عيـد ميلاده السعيد من تلك السنة وعرضت عليـه المشروع فتفضل بتبنيه وشمله برعايته وتبرع له بمعظم النفقات اى بـ (5000) دينـار ، ويشتمـل النـادى على قاعـة كبيرة للمحاضـرات والسنما والتمثيل بها ركح متسع وتضم (350) مقعدا ، وعلى مكتبة جمع لهـا (2000) كتاب من مكتبة ابن الشباط القديمة والمكتبة القادرية وستمدها كتابة الدولة للشؤون الثقافية والارشـاد بكمية اخرى من الكتب وعلى قاعتين للمطالعة ومكتب للجنة الثقافية الجهوية وآخر للمسؤول عن دار الشعب وقـد قررت كتابة الدولة للشؤون الثقافية والارشاد ان يقوم النادى بالدور الذى تقوم به دور الشعب فـى الجهات الاخرى وسيوضع فى مدخله تمثال نصفى لابى القاسم الشابى ولوحة رخامية تنقش عليها ابيات من شعره كما سينشأ بقربه كازينـو وحوض للسباحة ومقهى ومدرسة ثانويـة ومركز لمضائف الشباب وذلك فى نطاق تركيز وتنظيم نشاط الشباب فى هذه الجهة وسيكون النادى محور هذه المجموعة من المنشئات وحوالى الساعة السادسة والنصف ارتقى السيد كاتب الدولة منصة قاعة المحاضرات

مركز المخطوطات العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

الغاصة بوجوه القوم ومن حوله ممثلو السلطة المحليـةوافتتح الاجتماع السيد عبد السلام غديرة والى قفصة بكلمة اثبتناها قبل هـــذا ٠

وعلى اثر كلمة السيد الوالى القـى السيد كـاتبالدولة الخطاب الذى يجد القارىء نصه فى اول النشرية

ثم اسندت الكلمة الى الاستاذ محمد الحبيب المحامـىرئيس اللجنة الادبية بمؤتمر المالوف فالقى محاضـرة جامعة فى تاريخ الموسيقى العربية يجـد القراء نصهابقسم المحاضرات من هذه النشرية ٠

وختم حفـل التدشيـن بانتهاء المحاضـرة ثم تحـولالجميع الى نزلالواحة الكبير اين اقامت معتمدية المكان مادبـة عشـاء فـاخرة تكريمـا للسيد كاتب الدولـةوللمؤتمريـن ٠

وفى اثناء المادبة القى الاستاذ عثمـان الكعاك باسمالمؤتمرين كلمة شكر فيها السيد كاتب الدولة علـى اختياره مدينة توزر لتكون مقر الاسبوع الفنى حتـىيتعرف المواطنون على هذه المنطقة الجميلة كما شكـر السيد والىالجهة علىالتسهيلات التىوجدها المؤتمرونوخاصة وسائل النقل واثنى على رجال السلطة المحلية بتوزر وعلى مساهمتهم الفعالة فى تنظيم الاسبوع الفنـىوعقبه الاستاذ الهاشمـى بن الامين الخـالدى رئيس اللجنة الثقافية المحليـة فالقى كلمة وشحها بقصيـدفصيح وآخر بالملحون فى وصف واحة توزر ٠

واثر المأدبة تحولت الوفود الى قاعة الثكنة الكبرىحيث أقيمت أولى الحفلات الليلية الترفيهية ٠

وهكذا استمرت أعمال اسبوع الفن منتظمة حسبالبرنامج المسطر لها والاساتذة والطلبة منكبون عـلى أعمالهم وتمريناتهم الى آخر يوم مما مكنهم من اتمـاممأمورياتهم والحصول على النتائج المرجوة فى سهـولة ويسر وزارت توزر فى هذه المناسبة كثير من الوفودوالفرق الفنية والتمثيلية من مختلف جهات الجمهورية، كما قام المؤتمرون برحـلات لبعض الجهات والواحـاتالجريدية مثل نفطة والحامة ودقاش ٠

حـصـــاد الاسبـــوع

وأخيرا لا بد لنا من أن نلخص ما حققه اسبوع الفنمن نتائج فيما يلى حتى يتمكن القارىء من تكوين فكرة ثابتة عما لهذه الملتقيات من منافع قومية عامة ٠

مـؤتمـر المـالـوف

بدأ المؤتمر بمراجعة النوبات الاربعـة التى درستفى مؤتمر طبرقة كلمات وموسيقىوهى : الذيل ،والعراق والسيكاه ، والحسين ، واتفق على النصوص ثم شـرعفى درس النوبات الاربعة الموالية وهـى : الراست ، ورمل الماية ، والنوى ، والاصبعين ، فجمع ما تفـرقمن روايات وضبط ما اختلف من نغمات ٠

وكـان من ثمار هذا المؤتمر جمع اثنين وسبعيـنقطعـة جـديـدة انفـردت بعض الجهات بكلماتهـا أو بموسيقاها ٠

ملتقى أساتذة الموسيقى بالمعـاهد الثانوية ومـدارس الترشيح

اجـتمع هذا الملتقى ودرس فى عدة جلسات متواليةتنسيق أسلوب العمل فـى التعليم الموسيقى وتوحيـد المصطلحات الموسيقية لتحقيق توحيد المناهج فى جميعالمدارس واتخذ عدة توصيات فى الموضوع ٠

تـربص الاطارات الجهـوية للموسيقى

1)**شعبة الآلات الوتريـة** ـ تداول فيهـا اربع اساتذةعلى الهواة فلقنوهم ترقيم السلم الموسيقى قراءة وكتابة ودربوهم على المقامات وطبقوا ذلك على قطعة تصويريـةمن نغمة (فرح فزا) من تلحين الاستاذ صـالح المهدى ٠

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

2) **شعبة الآلات النحاسية** ـ تداولها أربعة أساتذةفلقنوا المتربصين السلم الموسيقى والترقيم كتابة وقراءة ودربوهم على المقامات والتعبير عنها بالآلات طبق المنهجالصحيح وطبقوها عمليا بعزف (مارش التخطيط) وعلى قطعة تصويرية من نغمة (العجم) تحمل اسم(الواحة) والقطعتان من تلحين الاستاذ صالح المهدى كما دربوا على عزف قطع من نوبة المزموم ·

3)**شعبة الغناء (التطريب الصوتى)** : تدربت علىوصلة موشحات من نغمة الاصبعين مع تطبيق الدواوين ورسم المقامات وتصحيح النبرات الصوتية ·

تربص هواة التمثيل المسرحى

قام أربعة أساتذة فى الفن المسرحى بالقاء محاضراتفى فن الممثل وفن الاخراج وفن كتابة المسرحية وتاريخ المسرح العتيق وتحليلبعض رائعات المسرح العالمىوتدريب الهواة على أصول الالقاء والاصغاء والحركات والاشارات وتطبيق ذلك على قطع ادبية مختارة وعلىمسرحية من نوع المسلاة العصرية هى مسرحية (حادث المقهى) لكرتلين تعريب الاستاذ حسن الزمرلىوعلى مسرحية من نوع الفاجعة القديمة هى مسرحية (أوديب) لسفوكل تحرير جان كوكتو تعريب الاستاذمحمد العقربى ، تحت اشراف وتوجيه الاستاذين محمد الحبيب وحسن الزمرلى ·

تربص هواة الرسم

1) **شعبة التصوير الزيتى** : تداول استاذان تلقينالهواة أصول هذا الفن وتدريبهم على الرسم فأنتجوا فى الاسبوع نحو الخمسين صورة متفاوتة الأهمية عرضتمنها مختارات طيبة بنادى ابى القاسم الشابى فى اليوم الأخير من الاسبوع (غرة جانفى) وقد أعجب الزوارالعديدون وفى مقدمتهم السيد والى الجهة ومعتمدوها بكثير منها وأغلب المختارات مناظر طبيعية وتصويرعادات شعبية فى الاعراس وغيرها ·

2) **شعبة التصوير المسرحى (الديكور)** : قام أستاذهذا الفن بتلقين الهواة أصول تصوير المناظر المسرحية مطبقا ذلك على صنع منظر لرواية (حادث المقهى) التىعرضت فى الليلة الأخيرة وهو منظر محكمة فرنسية فنال اعجاب الجمهور وقد أهدى المنظر للجمعية المحلية(الينبوع التمثيلى) بتوزر وركبه الهواة على المسرح تحت اشراف وتوجيه أستاذهم ·

المحاضرات

ولم يهمل جانب الأدب والثقافة العامة فى هذاالاسبوع فألقيت بقاعة الاحتفالات (الثكنة) عدة محاضرات منها :

- محاضرة فى تاريخ الجريد للاستاذ عثمان الكعاك·
- محاضرة فى تاريخ الموسيقى العربية للاستاذمحمد الحبيب المحامى ·
- محاضرة فى تاريخ المسرح للاستاذ حسن الزمرلى
- محاضرتان فى الشعر الملحون تاريخه وأغراضهوالمقارنة بينه وبين الشعر الفصيح للاستاذ محمد المرزوقى ·
- محاضرة عن الجانب الأدبى فى المسرحية للاستاذمحمد الحبيب بن بلقاسم التوزرى ·

الحفلات

استمرت الحفلات الليلية كامل الاسبوع فى قاعةالحفلات بالثكنة فكانت حسب الترتيب الآتى :

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية

ENNEJMA EZZAHRA

1) فرقة الفنون الشعبية قامت بحفلة طرب راقصة ·

2) نفس الفرقة قامت بحفلة ثانية للوفود ·

3) حفلة فرقة توزر الوترية وفرقتها للمالوف ·

4) حفلتان لفرقتى القيروان وصفاقس ·

5) حفلة تمثيلية لفرقة بلدية العاصمة للتمثيـل : افتتحت بوصلة من فرقة توزر الوترية ·

6) حفلة تمثيلية لفرقة الينبـوع التمثيـلى بتـوزرافتتحت بامداح من فرقة القادرية بتوزر ·

7) الحفلة الختامية وفيها وقع استعراض المجموعات الآتيـة :

ـ مجموعة الآلات النحاسية مـن متربصى الاسبوع بقيادة الحاج أحمد العريان ·

ـ مجموعة الآلات الوترية مـن المتربصين بقيـادةالاستاذ محمد التريكى ·

ـ المجموعـة الصوتيـة من المتربصين بقيادة الاستـاذالتريكى أيضـا ·

ـ القـاء تمثيـلى لقطعتين مختارتيـن لاثنيـن مـنالمتربصين باشراف الاستاذ محمد الحبيب ·

ـ عـرض رواية (حادث المقهى) مـن طرف الهـواةالمتربصين باشراف الاستاذ محمد الحبيب أيضا ·

اختتـام الاسبوع

واثـر انتهاء العرض التمثيـلى قـام الاستـاذ محمدالحبيب المحامى فألقى كلمـة مختصرة ابتدأها بعـرض مراحل ظهور وتطور الغناء العربى وخاصة الاندلسى منهحتى انتهى الى تونس فى فن المالوف الذى بذلت عدة مساع فى بعثه وختمهـا باستعراض النتائج الطيبـةللمؤتمر ثم اعتلى المنصة **السيد عبد السلام** غديرة والى قفصة وجلس حوله السيدان معتمد توزر والكاتب العامللجنة التنسيق الحزبى بالولاية والمشرفون على تسيير الاسبوع الفنى والقى السيد الوالى كلمة جاء فيها :

« عندما افتتح السيد كاتب الدولة للشؤون الثقافيةوالارشاد هذا الاسبوع تفاءلنا خيرا بنتائجـه وها هو ذا فالنا يتحقق ، فهذه النتائج التى شاهدناها هى أكثـرمما توقعناه ·

وقد سجلنا بالخصوص تجاوبا شعبيا كبيرا مع هذاالاسبوع فى توزر وأنا أتمنى أن أرىاخواننا المشاركين فى انجاح هذا الاسبوع أن نراهم بيننا فى ملتقى مقبلتستعد له هذه الجهـة ، وسيقـام بمناسبـة الذكـرى السنوية الثلاثين لوفاة شاعرنا ابى القاسـم الشابـىويجتمع فيه رجال الفكر والادب فى هذه الديار وربما يحضره قادمون من الخارج أيضا ، تلك الذكرى التـىتحل يوم 10 اكتـوبر 1964 ·

ونجاح هذا المهرجان لا يشغلنا عن غيره بل يحثنـاعلى العمل لاقامة مهرجان الذكرى الثلاثينية للشابى فى مسقط رأسه ومصدر الهامـه ·

وبهذه المناسبة أعبر عـن شكرى وكامـل تقديـرىللجهود التى بذلها المسيرون لاسبوع الفن حتى حققوا لـه النجاح المنشود ، وهم الـذين أقاموا الدليل عـلىاخلاصهم لرسالة الفن بتكبدهم مشاق السفر من أقصى الجمهورية لحضور هذا الاسبوع والاسهام فيه اسهامـالمسنا هذا المساء نتائجه المرضية التى ستكون حافـزا على رفع مستوى الفنون والثقافة فى هذه الربوع وفىغيرها من أنحاء الجمهورية فى العام الجديد » ·

ثم تقدم السيد محمد المروزقى فأعلن ان السيـدالوالى تفضل برصد جوائز مالية للفائزين من المتربصين فى جميع فروع الفن زيادة عن شهادات التقدير التىستسلمها لهم كتابة الدولة للشؤون الثقافية والارشاد وشرع فى المنادات باسماء الفائزين وتولـى السيـدمعتمد توزر تسليم الجوائز المالية لمستحقيهـا ·

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

الفائزون بالجوائز المالية لمستحقيها

الآلات الـوتريـــة

آلة الكمنجة : عبـد الدائم بن صالحـة (بنـزرت)شهادة تقدير وجائـزة ماليـة مصطفى سيـوه (نـابل) شهادة تقدير ·

آلة العـود : عامر عبيد (نابل)شهادة تقدير وجائزةمالية ـ احمد النايرى (المنستير) شهادة تقدير ·

آلة النـاى : البشير فحيمة (مساكن) شهادة تقديـروجائزة ماليـــة ـ ابراهيم العوادى (الكـاف) شهـادة تقـديـر ·

آلـــة الـوزن : محمد العربـى القلماوى (الكـاف)شهادة تقدير وجائزة مالية ·

آلـة القـانون : عبد الوهاب سليمان (توزر) شهادةتقدير وجائزة مالية ـ مصطفى سيوه (نابل)

الآلات النحاسيـــة

آلة الترمبيطـة : بلحسن الخميرى (تونس) شهـادةتقدير وجائزة مالية ـ محمد على الطرابلسى (تونس) شهادة تقديـــر ·

آلة الباص : عزوز عميرة (طبرقة)شهادة تقديروجائزةوجائزة ماليـة ـ مصطفى بن عبـد القادر (تـاجروين) شهادة تقدير ·

آلة الكلارينات : الخمسى بن عثمان (طبربة) شهادةتقدير وجائزة مالية ـ الطاهر بن هلال (باجة) شهـادة تقدير ·

آلة السكسيفون : محمد شيبة (صفاقس) شهـادةتقدير وجائزة مالية ـ رابح منور (طبرقة) شهادة تقدير

آلة الطنبور الكبير : محمد فوبير (صفاقس) شهـادةتقدير وجائزة مالية

آلة الطنبور الصغير : رابح بن العربى (باجة) شهادةتقديـر وجائـزة ماليـــة ·

التصويـــر الزيتى

ـ محمد الطيب عمار (توزر) شهادة تقدير وجـائزةمالية ·

ـالحشانى الفيتورى (قابس) شهـادة تقدير وجـائزةماليـة ·

ـ الشاذلى مرزوق (جربه) شهادة تقديـــر ·

ـ طارق العزوزى (قابس) شهادة نقديـر ·

الديكـور المسرحـى

ـ الهادى العباسى (جربة) شهادة تقدير ·

التمثيـــل

ـ الناجى بن الهادى بن على الصغير (تـوزر) شهادةتقدير وجائزة ماليـة ·

الديكور المسرحـى

الالقـاء : البشير بن رجب (تونس) شهـادة تقديـر
وجائزة مالية ـ البشير الشعرى (المنستير) شهادة تقديروجائزة مالية ·

العربية والمتوسطية

ENNEJMA EZZAHRA

التمثيل : الهاشمى الفرجانى (باجة) شهـادة تقديـر وجائزة ماليـة ·

ـ محمد الهادى الغربى (الكاف)شهادة تقدير وجائزةمالية ·

مسـابقـة الشعـر

كما اعلنت الولاية عن مسابقة بين الشعراء وجـوائز
مالية لاحسن قطعة شعرية (تصف واحة توزر) فشـارك فيها خمسة فاز منهـم ·

ـ الهاشمى بن الامين الخالدى (توزر) ·

ـ بدر الدين المؤدب (توزر)

وقد أثبتنا قصيدتيهما فى آخر هذه النشرة ·

مسابقـة التلحين

واعلنت بلديـة توزر عن مسابقة فى تلحين قطعـةشعرية تصف واحة توزر ففاز بها :

ـ عبد الوهاب سليمان (توزر) ·

مركز الموسيقى
العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

محاضرة الاستاذ عثمان الكعاك
تاريخ توزر
البـــاب الاول
1 ـ قبل الاسلام

اولا ـ توزر فى العصر الحجرى :

العصر الحجرى او ما قبل التاريخ هو اقدم العصورالتاريخية منذ ظهور الخليقـة الى اختـــراع الكتابـة · وينقسم الـــى :

1) ـ **الحجرى القديم** : كان فيه الانسان الاول يسكن المغـاور ويستعمـل الادوات مـن الحجـارة ويعيش مـن صيد البر والماء ويلبس اسلاخ الحيوانات النية او اوراق الشجر ويسكن على عيون الماء ·

2) ـ **الحجرى الوسيط** : ارتقى فيـه الانسان بعض الارتقاء فعرف النار والملح ودبغ الجلود ·

3) ـ **الحجرى الحديث** : تعلـم الانســـان صنـاعـــة الخزف وتدجين الحيوانات البرية الموجودة بجبل عرباطة من عنـوز واروى وجواميس وتعاطى اسبـاب الفلاحـة والنسج واعد حضارة البحيرات ثم الانهار ·

ومركـز العصر الحجـرى هو قفصـة وكانت تسمـى الحضارة الكبسية Industrie capséenne فلذلك سميت الحضارة الحجرية Capsa **كبسة** » وظهرت توزر فى هذا العصر وانفعلت بحضارته ·

ثانيـا ـ العصـر البربـرى : (القرن الخمسون قبـل الميلاد) ·

البربر قوم من قحطـان حميريون هاجـروا من اليمن الى المغرب فى عصور متقادمة فكانوا سكانه الاولين وأسس البربر توزر · وهم اول من اسسها كمدينة · واللفظ نفسه بربرى الاصل · وبقى أهل توزر يتكلمـون البربريـة الى القرن السادس الهجرى (انظر : عثمان الكعاك : البربـر)

ثالثا ـ الفنيقيون : 1200 ق ـ م 146 ق ـ م ·

الفنيقيون أمة قحطانية من بنى كنعان سكنت لبنـان وهاجرت منه لضيقه وتولت تنظيم القوافل البرية والبحرية وصارت سيدة البحار · اسست عاصمة اولى بتونس هى مدينة اوتيكـة · ثم اسست قرطاجنة سنـة 810 ق ـ م وأدخل الفينيقيون الى توزر زراعة النخيل الذى جلبوه من العراق واشغال الرى وزراعة الرمان والزيتون والصناعات التقليدية واتخذت من توزر مركزا هامـا لتنظيم قوافل الصحراء بواسطة الابل فحياة توزر الاقتصادية والثقافية بدت مع الفينيقيين الذين اخترعـوا الكتابـة الصوتيـة واسسوا المدارس والمكتبات · وكثـرة الرمال وتـوالى الفتن عفت عن آثار الفينيقيين (انظر : احمد توفيق المـدنى : قرطاجنة فى اربعة عصور)

رابعا ـ العصر الرومانى ـ 146 ق · م ـ 438 ب · م

انتصـر الرومان عـلى القـرطاجنييـن فى الحـــرب البونيقية الثالثـة واستولـوا علـى تونس · وسموهـا افريقيا القديمة Africa Vetus وكان الحد يقف عنـدقفصة ، فصارت توزر واقعة فى الغرب منه خارجة عنـه وتابعة لولاية نوميديا التى كانت بايدى ملوك البربـر المستقلين · ثم لما توغل الرومان فى فتوحاتهم وسعـوا

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

رقعتهم الافريقية فسموها افريقيا الجديدة Africa Nova فامتدت الى التخوم الصحراوية التى اسسوا بها قلاعا تسمى Limes وهى التى صارت اربطة صحراويةفى العصر الاغلبى و « ابراجا » فى عهد الحماية · فدخلت توزر يومئذ فى حكم الرومان ، وتأثرت بحضارتهم · واختلط البربر بالرومانيينفتكون العنصر المعروف بعنصر الافارقة · وكان الرومان فى الاولوثنيين ثم اعتنقوا الديانة النصرانية · وبقيت توزر على وثنيتها المخلوطة برواسب الوثنية البربرية ثمالفينيقية الى ان بادر اهلها الى اعتناق النصرانية فى القرن الاول وخصوصا فى القرن الثانى قبل الميلاد ·

وعظمت اهمية توزر فى العصر الرومانى لقربها منمدينة حيدرة Ammedara التى كانت مركزا عسكريا هاما لانها عقدة الطرق الاساسية المؤدية الى الصحراءفهى مركز المتاجر الكبرى وعاصمة الفنادق والخانات التى تحتاج اليها القوافل التجارية ومراكز الجنودبحيدرة والقلاع فكانت فى هذا العصر غنية مزدهرة بتمرها وواحاتها وسوق الرقيق بها ومتاجر الصحراءومعلوم ان تزويد القوافل انما يعتمد على التمر الذى هو مادتها الاصلية ·

قال الرحالة الاثرى شارل تيسو Tissat فى كتابه «جغرافية افريقيا الرومانية» (ج 2 684) يصف توزر فى العصر الرومانى :

« ان توزر كسائر بلاد الجريد ـ تتألف من عدد منالمراكز الصغيرة المتوزعة حول العيون المختلفة التى تخصب بساتينها » · ويظهر ان حارتين من حاراتهاهى التى تشغل موقع المدينة الرومانية القديمة وهى بلاد الحضر والشرفاء · وانما تجد فى بلاد الحضرالمعالم الرومانية الوحيدة التى بقيت محفوظة بتوزر · وهى :

1) ـ سد وادى البرقوق الذى يسميه أبو عبيد البكرىفى (المسالك والممالك) ، وادى الجمل · وهو مبنى من صناديق الحجر الكبرى ·

2) ـ بئر كبرى مربعة الشكل ·

3) ـ كنيسة ملوكية (بازيليك) كانت تزينها فىالقديم عدة صفوف من الاعمدة مازال البعض منها جاثما على الارض ·

4) ـ بقية منارة قديمة هى أيضا مبنية من الصناديقالرومانية ·

ثم ان معظم ديار توزر لا تخلو فى اساسهاوفى زواياها وأركانها من قطع رخام أو أحجار رومانية الاصل كالصناديق وأعناق الاعمدة وبقاياالافاريز وتيجان الاساطين وغير ذلك · كما ان أغلب قنوات الرى تحوى بضفاتها صناديق أحجار قديمة ·

وكانت توزر تسمى فى العصر الرومانى : Thusuros أو : Tusuros وهى تحريف للاسم البربرى ·

وقال الاثرى بوانسو فى كتابه «الاطلس الاثرىالتونسى» (ص 37 :)

توزوروس : (بلاد الحضر ـ احدى حارات توزر) ورد عنها ذكر أساقفة كاثوليكيين سنتى 411 و 484 وأسقف دوناتوسى سنة 411 · ومن آثارها الرومانية بئر مربعة · وعضادة مربعة الشكل قد قامت عليها صومعة الجامع القديم ·

قلنا ان توزر فى عهدها الرومانى كانت وثنيةأولا ـ ثم اعتنقت الديانة النصرانية فى القرن الاول وفى القرن الثانى على الخصوص ·

وانقسم أهل النصرانية بتونس الى شيعتين شيعةالكاثوليكيين التى قام بنصرتها علامة النصرانية الافريقى القديس أوغو ستينوس وشيعة دوناتوس التىقامت مناهضة للحكم الرومانى باسم الدين · وثارت من أجل ذلك ثورات كبرى وخصومات عنيفة حتى فىالعائلة الواحدة ·

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وقد ذكر الاب ميناج فى كتابه «افريقيا النصرانية»(ص 163) أخبار أساقفة توزر من كاثوليكيين ودوناتيسيين • وهم :

1) بينيناتوس Benanatus

2) آسيليكوس Asellicus أسقف توزرسنة 411 كتب اليه القديس أوغوستينوس رسالة رقم 196 يحذره فيها من يهود توزر •

3) آبتوس Aptus أسقف توزر •

4) فلورانتينوس Florentinus التوزرى •

وكانت توجد بتوزر فى القرن الخامس الميلادىجالية من اليهود الذين يتظاهرون بالنصرانية وقد حذر منهم القديس أوغوستينوس •

وكانت بتوزر فى ذلك العصر كنيسة ملوكيةكبرى ذات عدة صفوف من الاعمدة لا يزال بعضها جاثما على الارض •

وذكر بول مونصو البحاثة انه توجد بتوزر عارضةباب مزخرفة برمز المسيح عليه السلام (انظر Revue de Constantine سنة 1908 ص 234 ـ 236) •

وبالجملة فان توزر كانت عظيمة الاهمية فى العهدالرومانى الا أن الرمال السافية محت آثارها ولم تعتن ادارة الآثار فى عهد الحماية باجراء الحفريات اللازمة •ونرجو أن يكون هذا من نصيب الاثريين التونسيين الافاضل كما نرجو أن يؤسس هناك متحف يضم الآثارالمبعثرة وما يجد منآثار تميط عنها البحوث والحفريات•

ولعله من الخير أن نذكر بهذه المناسبة المراكزالرومانية الهامة الواقعة بالجريد وهى :

أ) ـ نفطة : وتسمى آكرسال نبته Aggarsel Nepte فكلمة آكر لفظ بربرى معناه القلعة أو البرج وهو كثير فى مسميات المدن التونسية o وسال بالبربريةهى أداة النسبة والاضافة يقابلها فى التونسية «متاع» ونبته هى لفظة فنيقية سامية بمعنى «النفط» أى البترولفنفطة معناها قلعة النفط • ولعل هذا من شأنه أن يفيد الباحثين عنه •

والمدينة الرومانية حسبما يرويه أهل البلد واقعةقرب قبة سيدى حسن عياد بين الكثبان التى تقوم عليها نفطة الحالية وشط الجريد o وهذه الآثار قد غطتهاالرمال تماما فتحتاج الى تنقيب وتغطى الرمال الواقعة بالزعفران القديمة حارة من الحارات الرومانية • واذانظرنا الى سد وادى نفطة وجدناه مبنيا من الصناديق الرومانية وان لم يكن رومانيا •

ب) ـ تقيوس : Thiges وتسمى الآن القبة أوتقيوس وهى من جملة شبكة الواحات المسماة بالوديان وهى دقاش وزاوية العرب وزرقان وأولاد ماجد وكريزوسدادة o وواحة تقيوس الرومانية التى تكلم عنها جغرافيو العرب واقعة تحت رمال كريز هى أيضا •لكن بعضها لا يزال باديا مبعثرا خلال بساتين البرتقال والتين والنخيل • كما لا يزال يوجد قسمان من السورمبنيان من الصناديق وقاعدة صرح والقنوات القديمة التى كانت تسقى الواحة o وكانت مقبرة تقيوسالرومانية تمتد بين الواحة وجبل توميات الذى يشرف عليها من جهة الشمال • وفى جبل التوميات لا تزالتوجد بعض التوابيت الحجرية والمدافن وقاعة كبرى تسمى غار السبعة رقود •

وأما دقاش فهى مدينة Taccas الرومانية وهولفظ بربرى مثل توزر وتقيوس

توزر الاسلامية

أولا ـ الفتح وعصر الولاة ـ 27 هـ ـ 184 م

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

فى افتتاح العرب لتوزر أقوال ثلاثة : القول الاول وهو الذى نذهب اليه ان توزر فتحت سنة 27 هـ على أيدى العبادلة السبعة فى طريقهم الى سبيطلة · وذلك على عهد عثمان ابن عفان الخليفة الثالث ·

والقول الثانى ـ هو ما ذهب اليه ابو طاهر السلفى فى كتابه « معجم السفر » وهو ان عقبة بن نافع الفهرى فتح توزر سنة 46 هـ على عهد معاوية بن ابى سفيان اول الخلفاء الامويين ·

والقول الثالث ـ وهو الذى ذهب اليه بعض المؤرخين هو ان افتتاحها كان صلحا فى اول الاسلام على يدى حسان بن النعمان سنة 79 · وذلك بعد عوده من برقة بالمدد الذى امده به الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان اولا تنافى بين الاقوال الثلاثة فيجوز انها فتحت اولا ثم انتقضت · ففتحت ثانية ثم انتقضت ففتحت فى الثالثة نهائيا · وعلى كل فقد فتحت صلحا · والدليل على ذلك كما قاله مؤرخها ابن الشباط هو بقاء الكنائس بها خرابا الى ايام ابن الشباط نفسه وان المسلمين بنوا بازاء كل كنيسة منها مسجدا ·

وقد بقى بها من الفتح الأول جماعة من المصاعبة آل مصعب بن الزبير · وجماعة من الجند العراقى الذى ابقى بها عادات العراق فى اللغة والاداب والفنون **ثانيا ـ توزر الاغلبية ـ 184 ـ 296 هـ :**

ما جاء العصر الاغلبى الا وتوزر قد اسلمت عن بكرة ابيها وحسن اسلامها · وتعربت احسن تعرب ، فكان أهلها يتكلمون البربرية من ناحية ، واللهجة العربية التوزرية التى هى عراقية الاصل · من ناحية ثانية أما اللغة الرسمية فهى العربية · ناهيك ان ابا العرب التميمى ذكر جماعة كبرى من علماء توزر قد نبغوا فى هذا العصر الاغلبى وناهيك ان جماعة كثيرين من طلبة سحنون والمتخرجين على يديه من أهل توزر أيضا ·

ويبدو لنا ان توزر اخذت شكلها الحضرى النهائى فى هذا العهد الاغلبى ·

اولا : فى اشغال الرى وتقاسيم المياه والانتاج الذى معظمه التمر ولا سيما الدقلة التى اصلها من العراق · وهى تحريف لكلمة « دجلة » نهر العراق الكبير ، لكن الاغالبة اضافوا الى ذلك زراعة النارنج والموز والبقول التى جلبوها من المشرق ·

ثانيا : فى المعمار فان معمار توزر يعتمد على الياجور ولا سيما الياجور المطلى بالزجاج وهذا من تأثير العراق ايضا ، ويتألف من الياجور اشكال هندسية لاتنتهى وغالب الابواب كابواب العراق واسعة من اسفل وضيقة من اعلى · وتعتمد السقوف والاجهزة والسوابيط على خشب النخل ·

ثالثا : فى الفنون مثل الموسيقى التوزرية التى هى عراقية بلا خلاف فى آلاتها ومدحياتها وتطويحها ونغماتها وكذلك فى التصوير والنحت والزخرف ·

رابعا : فى اللباس · فلباس أهل توزر تغلب عليه المسحة العراقية · ثم فى الصناعات الصوفية الرقيقة من غطاء ووطاء ·

وقد قامت توزر ابتداء من هذا العصر والى الآن بدور اساسى جذرى فى تنظيم قوافل الصحراء والحج وفى تجارة الصحراء وفى الصلة بين قلب الصحراء ولاسيما السودان الشرقى فى جلب القبائل العربية والسودانية وفى انواع الصناعات والمتاجر ·

وقامت توزر فى هذا العصر الاغلبى بأعظم دور فى الصلات بين الجزائر الرستمية وليبيا ولا سيما بين الاباضيين الموجودين بتاهرت وميزاب وورجلان (ورقلة) وبين اخوانهم من اهل قسطيلية وجبل نفوسة وجزيرة جربة ومدينة زوارة ·

ولقد كان لها ضلع كبير فى حروب الخوارج من البربر مع دولة بنى الاغلب ·

الا ان المذهب المالكى كان الغالب على اهلها ومنه معظم علمائها الى جانب علماء آخرين من مذهب عبد الله بن اباض ذكرهم مؤرخها الدرجينى فى طبقاته ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

ثالثا : توزر الفاطمية ـ 296 هـ 361 هـ ٠

زادت توزر حضارة فى هذا العصر ونبغ بها العلماءوالادباء والفنانـون ٠ واتسعت رقعتهـا الاقتصاديـة بسبب توسع متاجرهـا مع قلب البلاد الافريقية الـىالحبشة ومما زادها اهمية ظهور ملـوك مسلمون فـى البلاد السوداء من كانم الى غانة الى السودان ٠

ونعتقد ان لاهل توزر ضلعا فى انتشار الاسلام هناكوتفتق الحضارة العربية بتلك الاصقاع ٠

ولما فتح الفاطميون البلاد السـوداء الى حـد خطالاستواء عولوا كثيرا على التوزريين ٠

واذا كانت صقلية لعبت دورا اساسيا فى فتح جزرالبحر المتوسط وسواحل أوروبا واذا كـانت القـاهـرة الفاطمية قد قامت بدور اول فى فتح الشـام وجزيرةالعرب والهند ، فان توزر قد كان لها المقام الاول فـى فتـوح أقطـار افريقيا التـى وضعهـا الفاطميـون تحتصولجانهـم ٠

واتسع عمـران توزر ، ولا سيمـا ببلـد الحضر ٠وبنيت القرى والقلاع فى الغابة الى حيث ينتهى المـاء المجلوب على الحنايا والسواقى والقنوات ٠

رابعا : توزر الصنهاجية ـ 361 هـ 555 هـ ٠

الصنهاجيون دولة بربرية حلت محل الفاطميون عندانتقالهم الى القاهرة سنة 361 ، وقد وحدوا المغرب ثم سـرى اليهم داء الخلاف واحتـل الاعـراب البـوادىوالنورمان السواحل فاختلت أمورهم واعتاصت ٠ وانتشر فى القطر ملوك الطوائف الا ان عصر الصنهاجيين هو العصرالذهبى للآداب والازدهار الاقتصادى ٠ وقد وصف لنا توزر الصنهاجية الادريسى فقـال :

« ٠٠ ومن باغاى الى مدينة قسطيلية وهى توزر 4مراحـل ولها سـور حصيـن ، وبها نخـل كثيـر جـدا وتمرها كثير يعم بلاد افريقية ، وبها الاترج الكبيـرالطيب ٠ واكثر الفواكـه التى بها فى حـال معتدلة ، وبقولها كثيرة موجـودة متناهية فى الكثـرة والجودةوماؤها غير طيب ولا مر وسعر الطعام (القمح) بها فى أكثر الاوقات غـال لانه يجلب اليهـا ٠ وزروع الحنطـةوالشعير بها قليل يسير ٠٠ »

وقال ابو عبيد البكرى الجغرافى يصف توزر فـىهذا العصر وهذه أهم وثيقة : (انظر المسالك والممالك للبكرى مادة توزر) :

« ٠٠ اما قسطيلية (الجريد) فان من بلادهـا توزروالحامة ونفطة ٠ وتوزر هى امها وهى مدينـة عليهـا سور مبنى بالحجر والطـوب ، ولها جامع محكم البنـاءواسواق كثيرة (يعنى بها الاسـواق المدمسـة مثـل اسواق تونس) وحولها ارباض واسعة ٠ وهى مدينـةحصينة لهـا أربعة أبواب ، كثيـرة النخل والبساتيـن ولها سواد عظيم (اى غابات كثيفة من الشجـر المثمر)وهى اكثر بلاد افريقية تمرا ، ويخرج منها فى اكثـر الايام الف بعير موقرة تمرا ٠ وشربها من ثلاثة انهارتخرج من رمـال كالدرمك بياضـا ورقة ، ويسمى ذلـك المكان بلغتهم « تابرسى » وانما تنقسم هذه الثلاثـةالانـهـار بعـد اجـتـمـاع تـلك المـيـاه بمـوضـع يسمى وادى الجمال (هو المنشر ونادى ابـى القاسمالشابى اليوم) يكون قعر النهر هناك نحو مائتى ذراع ثم ينقسم كل نهـر من هذه الانهار على ستـة جداولوتتشعب من تلك الجداول سواق لا تحصى ، تجـرى فى قنوات مبنية بالصخر على قسمة عـدل لا يزيـدبعضها على بعض شيئـا ٠ كل ساقية سعـة شبرين فى ارتفاع فتر يلزم كل من يسقى منها اربعـة اقداسمثقال فى العام وبحساب ذلك فى الاكثر والاقل وهو ان يعمد الذى له دولة السقى الـى قدس فى اسفله ثقبـةمقدار ما يسعها وترقوس النـداف فيملا مـاء ويعلقـه ويسقى الحائط او البستان من تلك الجداول حتى يفنىماء القدس ثم يملا ثانيا وهكذا ٠ وقد علموا ان سقـى اليوم الكامل 292 قدسا ٠ (هذه هى الطريقة القديمة ٠ اما طريقة ابن الشباط فهى احكم) ٠ لايعلم فى بلاد مثل اترنجهـا (برتقالها) جلالا وحـلاوة وعظمـا ٠ وجبايـةقسطيلية 200،000 دينار (ذهبا فلتعلم هذا المبلغ الضخم وهـذا الازدهار الاقتصادى) ٠

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

استيلاء الحماديين على تـوزر

الحماديون فرع من صنهاجة انشقوا على بنى أعمامهـم بالمهدية وكونوا ملكا مستقلا بالجزائر فى قلعة بنـى حماد اولا ثم بمدينة بجايـــة ·

وكان لتوزر وال من قبل الملوك الحماديين ببجايةيسمى ابنمروان o فلما آلتالدولة الى يحى بن العزيز الحمادى انتقض عليـه ابن مـروان بتـوزر · فـأرسـل اليه الفقيه مطرف بن علـى بن حمدون فى العساكـر فافتتحها عنوة وتقبض علىابن مروان واوصله الى يحىفسجنه بمدينة الجزائر الـى ان هلك فـى معتقلـه · (ابن خلدون ج 6 ص 363) ·

مبايعـة بنى الرند أمـراء قفصـة :

لما استفحل امر الهلاليين والسلميين بالبوادى وامرالنرمان بالسواحل وضعف شأن الحكومـة الصنهاجيـة المركزيـة انقلبت الاطـراف الى دويـلات تسمى ملـوكالطوائف من باب الدفاع الذاتـى · فكـان بنـو الورد ببنزرت ، وبنو علال بطبربة وبنو خراسان بتـونس ،وبنـو جامع بقـابس ، وبنو الرنـد بقفصة والجريـد (قسطيلية) وقمودة (ولاية القصرين) ·

قال ابن خلدون (ج 6 ص 339) :

1) ·· **عبد الله بن الرند :** لما تغلب الاعـراب عـلىافريقيـة (تونس) وانحل نظام الدولة الصنهاجيـة ، وارتحل المعز من القيروان الى المهدية ، كان بقفصةعاملا لصنهاجة عبد الله بن محمد بن الرند واصلـه من جربة من بنى صدغيان وقـال ابن نخيل (هو من بنـىمرين من مغراوة) وكان مسكنهم بالجرسين من نفـزاوة فضبط قفصة وقطع عنها عادية الفساد وصالح العربعلى الاتاوة فصلحت السابلة واستقام الحال ثـم استبـد بامره وخلع الامتثال من عنقه سنة 445 هـ · واستمرعلى ذلك ·

وبايعته توزر وقفصة والحامة ونفزاوة وسائر اعمـالقسطيلية (الجريد) فاستفحل امره وعظم سلطانه ووفد عليه الشعراء والقصاد وكان معظما لاهـل الدين الى أنهلك سنة 465 هـ » ·

2) ـ **المعتـز ابو عمـر بن الرنـد : 465 ـ 557 هـ**

وولى من بعده ابنه المعتز وكنيته ابو عمر · وانقادااليه النـاس ، فضبط الامور وجبـى الاموال واصطنع الرجال وتغلب علـى قمودة وجبل هـوارة وسائر بلادقسطيلية وما اليهـا · وحسنت سيرتـه الى ان عمـى وهلك فى حياته ابنه تميم · فعهد لابنـه يحى بن تميموقام بالامر ، واستبد على جـده ·

ولم يزالوا بخيـر حال الى ان نازلهم عـبد المؤمنسنة 554 · فمنعهم من الامر ونقلهم الى بجاية فمـات المعتز بها سنة 514 هـ ومات بعده بيسير حافده يحيـىبن تميم · وولى عبـد المـؤمن بـن على المـوحـدى عـلى قفصة نعمان بن عبد الحق الهنتاتـى ثم عزله بعد ثلاثبمامون بن اجانا الكنسيفى ، ثم عزله بعمران بن موسى الصنهاجى فأساء الى الرعية فبعثوا الى على بن العـزيزبن المعتز بن الرند ببجاية ··

3) ـ **على بن العزيز بن المعتز**

وكان بها فى مضيعة يحترف بالخياطة فقدم عليهـموثاروا بعمران بن موسى عاملالموحدين فقتلوه وقدموا على بنالعزيز فساس ملكه وحاط رعيته واغزاه يوسفبن عبد المؤمن سنة 563 اخاه السيد ابا حفص زكريـاء فحاصره وضيق عليه واشخصه الى مراكش باهله وماله · واستعمله على الاشغال بمدينـــة سلا الى ان هلـــك وفنيت دولة بنى الرند والبقاء لله وحـــده ·

ـ وفى هذا العصـر اشع العمران التوزرى ووسعالجامع الكبير الموجود ببلاد الحضر · ذكر الفقيه عثمان بن الحجاج فى تاريخـه : ··ان ابتـداء الصومعـة بجامعتوزر كان سنة 412 ـ وتمامها سنة 422 · وقد اختصت باربع قباب جملت اعلاها وكملت حلاهـا كأنها عرائسجليت على منصة ، وحبيت من بدائـع الحسن باوفـر

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

حصة · وبهـا من غرائب البنيان وبدائع الاتقان مـا لايقف عليه الطرف ، ويقصر عنه الوصف ويقول كل من رآها ممن جاء شرقـا وغربا بعد او قـرب « مـا رأيتمثلها ، ولا عاينت فى الاقطار شكلها » ·

قال ابن الشباط : « واخبرنى بعض شيوخ بلدنـاان البانى الذى بناها شرع فى بنائهـا الى ان انتهـى الى موضع فجهزته الوفاة · فقيل له : الى من ترشدنا يتمهذه الصومعة ؟ فقـال لهم : رجـل من القيـروان ـ وسماه · ثم صور لهم ثلاثة جواميز من شمع يختار منهاايها احب يصنع مثله · فلما قضى بانيها نحبـه قدمت رفقـة من القيروان والرجـل المشـار اليـه صحبتهـم ·فذكروا له الوصية وتمم الصومعـة ·

خامسا : توزر الحفصية 555 هـ 981 هـ

وصف التجانى فى رحلته توزر فى العهد الحفصى فقـال : (الرحلة ص 157 وما بعدها)

« وتوزر هى قـاعدة البلاد الجريدية · وليس فـىبلاد الجريد غابة اكثر منهـا ولا اكثر مياهـا · واصل مياهها من عيون تنبع من الرمل ، تجتمع خارج البلد فىواد متسع وتتشعب منه جداول كثيرة وتتفرع من كل جدول منها مذانب يقسمونها بينهم على املاك لهم مقدرةمقاسم من المياه معروفة ولهم عـلى قسمتها امنـاء مـن ذوى الصلاح فيهم يقسمونها على الساعات من النهاروالليل بحساب لهم فى ذلك معروف وامر مقرر مالـوف وعلى ذلك الماء ارحاء كثيرة منصوبة ومن العجب ان هـذاالوادى يحتمل ما يحتمل من غثاء او غيره ، فاذا انتهى الى المقسم افترق هنالك اجزاء بالسوية على عدد المسارب فمضى كل قسم منها الى مسرب منها وهذا مما شاهدته فيها عيانا ·

وكثير من اهلها انما يسكنون بغابتها · ولا مناسبة بين مبانى الغابة ومبانى داخل البلد فان مبانى الغابة اضخمواحسن ·

وبداخل البلد جامعان للخطبة وحمام واحـد ·

ومتفرجهم بموضع يعرفونه **بباب المنشر** · وهو منمن احسن المتفرجات لان مجتمع الماء هنالك ومنه يتفرع كما تقدم ويجتمع به القصارون فينشرون هنالك مـن ثياب ملونة والامتعة الموشية ما يعمه على كبره فيخيـل للناظر انه روض تفتحت ازهاره واطردت انهاره · وليس بتوزر احسن من هذا الموضع وهو خارج عن غابتها والغابة لاصقة لسور المدينة فهى بذلك تمت حصانتها ·

وقد وصفها بعض شعرائها فقـال : (كامل) ·

زر تـوزرا ان شئـت رؤيـة جنـة ... تجرى بهـا من تحتـك الانهـار
نهر علـى رمـل يسير كـانـه ... ورق يمـاع علـى النضـار يمـار
ابا وفـاكهـة حـوت وحـدائقـا ... غلبـا ، تغـرد فـوقهـا الاطيـار
جناتهـا مثل الجنـان : فارضهـا ... مسـك ، ونشـر نسيمهـا معطـار
دوح يرف ، ومنظـر يسبى النهـى ... وبـرود روض وشيهـا الازهـار ·
ومذانـب مثـل القـواضب جـردت ... خلعـت عليهـا لونهـا الاشجـار
وتناثرت مثـل الـدراهم فوقهـا ... انـوارهـا ، فتضـاعفـت انـوار
واذا يهـب نسيمهـا ذرت بـه ... من نشـر ازهـار لهـا اسـرار
والنخـل مثـل عـرائس مجلـوة ... تبـدى بـديع حليهـا الاطـوار
واذا هـززت بجذعهـن تساقطـت ... رطبـا جنيـا ، نثـرهـن نثـار
قطـر مـن الاقطـار اشرق حسنـه ... فكـأنمـا الليـل البهيـم نهـار
كـم فيـه من معنـى جميـل رائق ... تصبـو لرؤيـة حسنـه الابصار
كملـت محاسنـه وطـاب حديثـه ... فبـذكـره تتـزيـن الاسمـار
يـا أيهـا الثـاوى به من اهلـه ... او غيرهـم ممـن حوتـه الـدار
لا تصبـون الـى سـواه فانـه ... للديـن والدنيـا هـدى ومنـار

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

واهل توزر من بقايا الروم الذين كانوا بافريقيةقبل الفتح الاسلامى · وكذلك اكثر بلاد الجريد · لانهم فى حين دخول المسلمين اسلموا على اموالهم · وفيها قوممن العرب الذين سكنوها بعد الفتح · وفيها ايضا من البربر الذين دخلوها فى قديم الزمان عند خروجهم من بلادهم » ·

استيلاء قراقوش على توزر:

قال ابن خلدون (ج 5 ص 630) :

« ··كان قراقوش من موالى تقى الدين عمر بنشاه بن نجم الدين : وهو ابن اخى صلاح الدين · فغضب مولاه فى بعض النزعات وذهب مغاضبا الىالمغرب · ولحق بجبل نفوسة من ضواحى طرابلس الغرب · واقام هنالك دعوة مواليه وكان فى بسائطتلك الجبال مسعود ابن زمام المعروف بالبلط فى احيائه من رياح من عرب هلال بن عامر · وكانمنحرفا عن طاعة عبد المؤمن بن على شيخ الموحدين وخليفة المهدى بن تومرت فيهم · فانتبذ مسعود بقومهعن المغرب وافريقية (تونس) الى تلك الناحية القاصية فدعاه قراقوش الى اظهار دعوة مواليه بنى ايوب فاجابهونزل معه باحيائه على طرابلس فحاصرها قاراقوش وافتتحها · ونزل باهله وعيالهفى قصرها · ثم استولى على قابس من ورائها ، وعلى توزر ونفطة وبلاد نفزاوة من افريقية (تونس) وجمع اموالا جمةوجعل ذخيرته بمدينة قابس وخربت تلك البلاد اثناء استيلاء الاعراب عليها ولم يكن لهم قدرة على منعهم ·

ثم طمع فى الاستيلاء على جميع افريقية ووصل يدهبيحى بن غانية اللمتونى الثائر بتلك الناحية بدعوة لمتونة (بقية دولة المرابطين الذين حل الموحدون محلهم)فكانت لهما فى تلك الناحية آثار مذكورة فى اخبار دولة الموحدين الى ان غلبه ابن غانية على ما ملك من تلك البلاد وقتله ـ كما هو مذكور فى اخبارهم » ·

(استيلاء المنصور الموحدى على توزر ابن خلدون ج6 ص 346) ·

وأخبار قراقوش والمبورقى والموحدين وبنى يملولتطول على الاطار الذى رسمناه وفيما اوردناه ، كفاية وسنرجع اليها فى فرصة اخرى فنخصها بالدراسة انشاء الله تعلى ·

سادسا : توزر فى العصر المرادى : 1017 هـ 1117 هـ

وصف توزر فى العصر المرادى

زار الرحالة المغربى العياشى توزر فى ايام محمدباشا ابن حمودة باشا المرادى فقال فى وصفها (رحلة العياشى ط · فاس · ج 2 ص 407) ·

« وصلنا توزر يوم الاربعاء 21 شعبان سنة ··وبها وجدنا التجار الذين قاموا من تونس وبعض اهل جربة ارادوا ان يسافروا مع الحاج الى المغرب ،ولقيت صاحبنا سيدى صحراوى ، وكان حج معنا وقدم قبلنا مع ركب اهل الجزائر · وهو رجل منأهل الخير صاحب وتلميذ لبعض اصحاب سيدى احمد الدباسى وكان اصله من عرب تلك الناحية ·وسكن بعض ارباض توزر ، وحج ماشيا حافيا وذهب معنا لزيارة القدس والخليل عليه السلام · وقد جاءالينا بعد نزولنا خارج توزر واحسن الينا ·

ودخلنا ذلك اليوم الى المدينة القديمة (بلاد الحض) وهى خالية وزرنا قبر الامام الشقراطسى وولده وزرنا خلوة الامام ابى الفضل بن النحوى ـ رضى الله عنهوهى بجانب المسجد · وزرنا مشاهد اخرى غير ذلك ·

ومدينة توزر مدينة حسنة غزيرة المياه كثيرة الاجنة والنخيل ينساب فيها واد كبير منبعه من غربيها · واعرابها اهل بادية مخصبة فيرخص فيها غالبا سعر اللحموالسمن · واما التمر فيها فرخيص جدا · ولقيت من طلبة البلد سيدى احمد المولى · ولا باس به وسأل عنعدة مسائل فقهية وبحث بحث مستفيد عالم بقواعد البحث · ودخلت الى خزانة سيدى احمد الدباسى عندحفيده سيدى يزيد ووجدت فيها عدة كتب · منها السفر الثانى من كتاب الوجيز للشيخ عبد الغفار بننوح وهو كتاب نفيس جدا غاية فى بابه ، وكان فى

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

ملكى السفر الاول ، وطال بحثى عن الثانى فلم اره الافى هذه الخزانة ولاجل اغتباطى به طالعت جله فى هذه المدة ولما كان يوم الجمعة ذهبت مع صاحبناسيدى الصحراوى الى مدينة نفطة لزيارة سيدى ابى على النفطى نفعنا الله به ـ وهو من اكابر الصالحينمن اصحاب ابى الفضل البسكرى · وبلغنا الى نفطة قبل الظهر وبينها وبين توزر 18 ميلا وزرنا ذلك اليومجلسنا هناك حتى صلينا الظهر · ووجدت هناك سفرا من شرح الشقراطسية لابن المصرى (ابنالشباط) وهو كتاب ممتع غاية طالعت بعضه فى تلك الهنيهة وقيدت منه ورجعنا فى ذلك اليوم ووصلنا الىتوزر بعد المغرب · ولم نصل الى الركب وبتنا فى منزل صاحبنا سيدى الصحراوى واجزل القرى واقمنابتوزر الى يوم الاحد ننتظر الركب ·· ولقيت بتوزر صاحبنا سيدى احمد بن عبد العاطى وهو من اصحابشيخنا سيدىمحمد بن ناصر وادخلنى الى داره واضافنا وارانى عقد حبس عتيق عنده بخط الامام ابن مرزوقوتاريخه سنة كذا وعشرين وثمانمائة وفيه خط الامام العقبانى ·· وفى يوم رحيلنا دخلت الى البلد القديمايضا وزرت الامام الشقراطسى مرة اخرى وزرنا سيدى على بن عمران تلميذ ابى علىالنفطى ومقام ابن النحوىوجماعة من الصالحين · ودخلت المسجد القديم ورايت فى محرابه منقوشا ما هذا صورته « نقشت هذه القبلةسنة كذا وتسعين وخمسمائة » وممن زرناه ايضا قبر ولى الله سيدى احمد الدباسى وله كرامات كثيرةومقامات علية وعليه تخرج العارف بالله تعلى محى الطريقة بالبلاد المشرقية سيدى على بن ميمون الحسنىالادريسى الفاسى الاصل وقد كثر اتباعه وانتشرت تئاليفه فى بلاد الشام ومصر والروم ··· ثم ارتحلنا منمدينة توزر يوم الاحد ··»

ثم مرت توزر بالدور الحسينى (1117 ـ 1373) ثمبالاحتلال وهاهى تنعم بالاستقلال وبما أنشأه فيها من المصانع والمصالح وآيات البناء والانشاء صناديدالرجال مما نستفرده بالبحث فى فرصة أخرى ان شاء الله تعالى ·

الباب الثانى

الادب التوزرى

الادب التوزرى من أحفل الآداب التونسية كما وكيفاورقة وسموا، وذلك يرجع الى ذكاء التوازرة والى نزعتهم العربية الواضحة والى جمال واحتهم الموحية بالشعر والى تفرغهم للتأليف لان عمل النخل بسيط وله موسم واحد ليس الا ونحن نستعرض رجالات هذا الادبحسب العصور ·

أولا ـ عصر الولاة

انتشر فى هذا العصر التعليم فى الكتاتيب والجوامع ،وعمت العربية ، فظهر بعض العلماء منهم عبدالمتعالى القسطلانى من رجال القرن الثانى كان عالما باللغةوالحديث وأصول الدين ذكره أبوالعرب التميمى فى طبقاته ·

ثانيا ـ العصر الاغلبى

1 ـ احمد بن ملول التنوخى

قال عنه ابن فرحون فى الديباج المذهب (ص 36) :

« أحمد بن ملول ، تنوخى ، يكنى أبابكر · من أهل توزر ، سمع من سحنون ، ورحل فى طلب الحديث ، ثقة، مأمون · سمع منه ناس كثير من الاعيان كالاكنافىوغيره · كان عالما حسن المناظرة · وناظر محمد بن الحكم بمصر ·

والف تاليفا كثيرة ·

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

2 ـ خـالد بن نصـر :

قال عنه عياض فى المدارك (ورقة 20) :

« خالد بن نصر مـن أهـل قسطيلية ، سمـع مـن سحنون وأصبغ وغيرهما وتحدث عنه صاحب الحلـل ص 205 وأبوالعـرب التميمى » ·

3 ـ نصر بن خالد بن نصر ـ ولد السابق :

قال عنه عياض فى المدارك (ورقة 20) ·

« وله ابن اسمه نصر ، أخذ عن أحمد بن معتب ، وسمع منه ابو العرب التميمى قال : مات فيها أحسب فى نحو 270 هـ · حدث عنه محمد بن بكر الجذامى ·

4 ـ عبد الرحمان الكنانى التوزرى :

قال عنه عياض فى المدارك (ص 20) :

« أبوزيد عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمـان الكنانى ـ رحمه الله من أهل توزر ، سمع من سحنون ورحل الى المشرق فى طلب الحديث ·

5 ـ ابن عبد الرحمان الكنانى :

قال عياض فى المدارك (ص 20) ·

« ... وكان لعبد الرحمان ابن عنى بالحديث سمـع من عبد الرحمان بن بكـر بن حمـاد ، وعبد الله ابـن الوليد وجماعة · وكان كثير الصوم ذا سمت · توفى بتوزر سنة 280 هـ · »

6 ـ أبو سعيد بن خراش المغربى المقرىء :

يروى عنه سحنون · وروى عنه أبو العرب التميمى ·

(مصادره) الحلل السندسية 205 ·

7 ـ أبو الحسن على بن اسماعيل القرشانى :

ولد فى أواخر القرن الثانى · وتعلم ببلده ثم انتقل الى القيروان وسكن بها · فأخذ عن سحنون سنة 217 هـ وسمع من اصبغ بن الفرج ، ومن سعيد بن أسد بـن موسى وغيرهما ·

وسمع منه أحمد بن أبى سليمان وموسى بن عبـدالرحمان وجماعة غيرهما من أصحاب سحنون وغيره :

وذهب الى الحج فكانت له طلبة بالمشرق ثـم قفـل راجعا فتوفى فى رجوعه من الحج سنة 263 ·

(أبو العرب التميمى ، **طبقات : الحلل السنة** ص 213)

ثالثـا ـ العصر الفاطمى

1 ـ سحنون بن أحمد التنـوخى :

وقد تقدم ذكر أبيه فى الاغالبة قال عنه عياض فى المدارك ص 107 :

« سحنون بن أحمد التنوخى ـ صليبة (اى عـربى قح) تقدم ذكر أبيه · من أهل قسطيلية وعلمائها مولده سنة 243 هـ · سمع من أبيه · وحدث عنه عبد الله أبومحمد بن أبى زيد القيروانى ، وأبو محمد بن أبى هاشم

مركز المخطوطات العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وجماعة وكان أبو الفضل المسى يقول : (انما فىفى نواحى افريقية اربعة رجال احدهم سحنون هذا بقسطيلية وذلك من فضله وورعه) . قال أبو بكرالمالكى فى رياض النفوس : (كان شيخا صالحا فاضلا فقيها ورعا مشهورا وكان صعبا فى الاجازة) .

توفى سنة 343 هـ . بتوزر » .

رابعا ـ العصر الصنهاجى

يعتبر هذا العصر من أكثر العصور ازدهارا للادبالتونسى عامة والتوزرى خاصة وذلك من أجل الازدهار الاقتصادى وانتشار العلم ومعاهده وسمو درجته ومنرجال هذا العصر بتوزر .

1) أبو الفضل بن النحوى التوزرى :

ولد بمدينة توزر سنة 434 هـ ونشأ بها .

وأخذ العلم أولا : بتوزر عن أبى زكرياء يحيىالشقراطسى وغيره، .ثانيا بصفاقس : عن الامام على اللخمى قال ابن الابار : اخذ صحيح البخارى عن اللخمى ولمارجع قال له اللخمى : ما رجع بك ؟ قال جئت لنص «التبصرة» وهو كتاب اللخمى وكان علم اللخمى كلهفى تاليفه التبصرة هذا ، فاجابه : تريد ان تحملنى فى كفك الى المغرب ثم أخذ عنه كتابه رواية ودرايةواستنساخا : ثالثا بالمهدية أخذ عن الامام المازرى .

واشتغل أبو الفضل بالتعليم .

فاقرا فى عدة اماكن منها : I) سجلماسة بجنوب المغرب : 2) بفاس : 3) بمدينة بجاية عاصمة بنى حماد . وتخرج عليه جماعة منهم : I) محمد بن الرماسة رئيسالمفتين بفاس : 2) الاخوان الفقيهان ابو بكر ومحمد ابنا مخلوف بن خلف الله :3) الفقيه ابو عمران موسىبن حماد الصنهاجى : 4)على حرزهم شيخ المتصوف الكبير شعيب ابى مدين دفين تلمسان .

وكان جل تعليم ابى الفضل كتاب احياء علوم الدينلحجة الاسلام الغزالى وهذا اصل مصابه فى الغالب فقد اطرد من سجلماسة وفاس من اجل تعليمه . حتىقال أحد رؤساء سلجماسة : (يريد هذا ان يدخل علينا علوما لا نعرفها) .

ولما افتى فقهاء المغرب بحرق كتاب الاحياء فاحرقفى صحن مراكش ووصل كتاب سلطان المرابطين بذلك وتحليف الناس بمغلظ اليمين ان ليس عندهمالاحياء انتصر ابو الفضل للغزالىوكتابه وكتب للسلطان وافتى بعدم لزوم تلك الايمانونسخ الاجزاء ثلاثين جزءابخطه يقوم كل يوم فى رمضان بنسخ جزء قائلا وددت انى لم انظر فى عمرى سواه ومدحه المترجمون له .قال ابن الابار : (كان عارفا باصول الدين والفقه يميل الى النظر والاجتهاد وله تاليف) وقال احمد الغبرينىفى (عنوان الدراية فى تراجم علماء بجاية) : كان من العلماء العاملين وعلى سنن الصالحين مجاب الدعوةحاضرا مع الله فى غالب امره له اعتقاد تام باحياء الغزالى) وقال عياض : (اخذ هو والمازرى عن اللخمىكان من اهل العلم والفضل شديد الخوف من الله غالب حاله الحضورمعه تعالى لا يقبل من احد شيئا انمايأكل ما يأتيه من توزر) وقال القاضى ابن حماد : (كان ابو الفضل ببلادنا كالغزالى فى العراق علما وعملا)وكان الى جانب ذلك شاعرا متصوفا قد اخذ عنه على حرزهم التصوف وعنه اخذه شعيب ابو مدين ، وعنهعبد العزيز القرشى المهدوى وعنه محى الدين بن عربى الطائى وابو الحسن الشاذلى وابو سعيد الباجى بهذاالتسلسل .

وفاته : توفى ابو الفضل بمدينة بجاية فى شهرمحرم سنة 5I4 ـ III9 م وقبره بها مشهور يزار

شعره : إشهر شعره قصيدته المنفرجة التى شرحهاوخمسها وعارضها كثيرون (انظر : كشف الظنون للحاج خليفلة)

مخطوطات الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وهذه نخب منهـــا :

اشتـــدى ازمـــة تنفـرجـــى قـد آذن ليلـــك بـالبلـــج
وظـــلام الليـــل لـه سـرج حتى يغشـاه ابـــو الســـرج
وسحـاب الخيـر لـــه مطـر فـاذا جـــاء الابـــان تجـــى
وفـــوائـــد مـولانـا جمـــل لســـروح الانـفس والمهـــج
ولهـــا ارج محـــى ابـــدا فـاقصـــد محـــى ذاك الارج
فلـربتمـــا فـــاض المحيـــا ببحور المـوج مـن اللجـــج
والخلـق جميعـا فـــى يـــده فـــذوو سعـــة وذوو حـــرج
ومعـــائشهـــم وعـــواقبهـــم ليست فـى المشى على عـوج
حكـــم نسجت بيـــد حكمت ثـم انتسجـــت بـالمنتسـج
فاذا اقتصـرت ثم انعـرجـت بمقتصـــــد وبمنعـــــرج
شهـــدت لعجـائبهـا حجـــج قـامت بالامـــر عـلى الحجج
ورضى بقضـــاء اللـــه حجـا فعلـــى مـركـوزتـه فعـــج
واذا انفتحـت ابـواب هـــدى فاعجـــل لخزائنهـــا ولـــج

وهى طويلـــة :

ولـه ايضـــا :

لبست ثـوب الرجا والناس قـد رقدوا وقمـت اشكـو الـى مولاى مـــا اجـــد
وقلت : يا سيدى ! يـا منتهى املـى ! يـا من عليـــه بكشف الضـر اعتمـــد
اشكـــو اليك امـورا انـــت تعلمهـــا مالـى علـــى حملهـا صبـــر ولا جلـــد
وقد مددت يدى بـالضـر مشتكيـــا اليك ! يـــا خيـــر من مدت اليه يـد !

ومن شعـــره :

اصبحت فيمن لـه ديـن بـلا ادب ومـن لـه ادب عـار مـن الـدين
اصبحت فيهم غريب الشكـل منفـــردا كبيت حســان فى ديوان سحنون

يشير الى بيت ذكره سحنون فى باب الجهاد فى مدونتهمن شعر حسان بن ثابت الانصارى وهو :

وهـان عـلى سـراة بـنـى لـؤى حـــريـــق بالبـــويـــرة مستطيـــر

مصـــادره :

ابن الابار : تكملة الصلة ص 740 · الحـاج خليفـة :كشف الظنون · أحمـد بابا التنبكتى : نيـل الابتهـاج ص 349 ، ، عياض : المدارك ، الغبرينى : عنوان الدراية،الزركلى : الاعلام ج 9 ص 325 ، بروكلمان : تاريخ الادب العـــربـى ج I ص 268 ، ملحـــــق I ص 473 ·محمد النيفر : عنوان الاريب ج I ص 50 ، عمر رضـا كحالة : معجم المؤلفين ج I3 ص 334 ، مخلوف : شجرةالنور ص I26 رقم 365 ، البغدادى : هدية العارفين ج 2 ص 55I ·

2) أبو زكـرياء يحيى بن على زكرياء الشقـراطسى القرشى التـوزرى :

ولد بمدينة توزر ونشأ بها وطلب العلم ببلده أولا ثمانتقل الى القيروان فأخذ الفقه عن عبد الله بن أبى زيـد وأضرابه ثم ذهب الى المشرق فأخذ عن علماء العصر ولقىالاكابر فأخذ عنهم ورجع بعلم كثيـر وأدب غزير وكـان متبحرا فى العلوم اماما فى الآداب شاعرا كبيرا ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

له من التصانيف : (أ) كتاب فيمن روى عنهم ورووا عنه من أهل المشرق والمغرب : (ب) ارجوزة فى مناسك الحـج ·

وفـاته : توفى سنة 429 هـ ودفن بتوزر وقبره معروف مـــزار ·

مصادره : محمد النيفر : عنوان الاريب ج I ص 4I ·

3) أبو عمرو عثمان بن أبى القاسم عبد الرحمان بن حجـاج :

هـو أحد علماء توزر فى العصر الصنهاجى ولد فـى منتصف القرن الرابع وتوفى فى القرن الخامس وكـان مؤرخا كبيرا له تآليف فى تاريخ الجريـد ·

مصـادره : حـلل : 2I4

4) أبو حفص عمر التوزرى :

من رجال الحديث بتوزر فى القرن الخامس ·

مصـادره : الحلل السندسية 186 ·

5) الكاتب أبو على الحسن بن ابراهيم التوزرى :

من كتاب توزر وشعرائها فى القرن الخامس ·

وصف توزر أبدع وصف فقال : (كامل) ·

خيـر البـلاد لمـن أتاها توزر ... يا حبـذا ذاك الجنان الاخضـر
والنخل مثـل عرائس مجلـوة ... فى سندسيات اللباس تبختـر
وكأنمـا نظـم الحلى لنحـرهـا ... مـن لـؤلـؤ وزبرجـد يتخيـر
نشـأت لآلى سكها مـن ذاتهـا ... وتحـولت كـزبرجـد يتطـور
وترى الزبرجد عسجدا ويواقتا ... ذا أحمـر قان وذاكـم أصفـر
فـاذا انتهت أرطابه أبصرتـه ... متـزججا والارى منـه يقطـر
رطب يريك نواه وهو دوينهـا ... مـن دونه لشفيفـه اذ يبصـر
يجنيك من خمـر صنوفا جمـة ... لا يستقـل بـوصفهـا متفكـر
أحلى من العسل المصفى طعمـه ... ومـذاقـه لا يـدعيـه السكـر
والدوح قدلبست غلائل سندس ... تختال فى أيدى النسيم وتخطر
حلت هـواديها عقـود أزاهـر ... فتبرجت عجبـا لمـن يـتبصـر
ملكت عيون الناظرين بحسنهـا ... فدنا اليها كـل طـرف ينظـر
والطير قد رقيت منـابر قضبها ... خطباؤها تشدو بلحن يسحـر
والقضب يثنيها النسيم فتنثنى ... بعض يقبـل بعضهـا ويقهقـر
كعقائـل تبغى السرار فتلتقـى ... تصغى الحديث ، وتارة تتأخـر
والارض عاطـرة تـزف كأنهـا ... غشـى نواحيهـا عبيـر ينشر
وتـأرجت أرجـاؤهـا فكـأنمـا ... مسك يضوع خـلالها أو عنبـر
وكـان ريحـان الحيـاة وروحها ... مستنشق مـن عرفهـا ومعطـر
فكأنما كسيت بساط زبرجـد ... يزهو به ذاك البساط الاخضر
من أبيض يقق وأصفـر فاقـع ... ذا أزرق زاه وهـــذا أحمـــر
والمـاء تنبعـه اليـك جـداول ... قد مدها النهـر الزلال الاكبـر

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

نهـر تقسـم بالسـواء ثلاثـة فى كـل ثلث ستـة لا أكثـر
تلك الجداول تسعة مـع مثلهـا كـل عـلى الحـد السواء مقـدر
صاف على صفة المها يجرى على رمل النقا عذب قراح كـوثـر
وكأنما خصباؤهـا فى رونـق الـسـماء الذى يجرى عليه جـوهـر
وخـلاله سمك كصنعة خنجـر وكـأنـه مـن فضـة متصـور
ومسارح ، ومزارع ، ومباقـل وفواكـه من كـل نوع يذكـر
وجداول تنسـاب بيـن أزاهـر كـأراقـم هجماتهـا لا تذعـر
زرق النطاف يدور فى أرجائها زهر كزهر كواكب اذتزهر (I)

6) ابو محمد عبد اللـه بن زكرياء يحـى بن على بن زكرياء الشقراطسى التوزرى

ينسب الى قلعة من قلاع قفصـة تسمى شقراطس وهو من ابناء توزر ·

ولد بتوزر ـ وهو من فحول نبغائها اخذ العلم عـن اهل توزر ثم انتقـل الـى القيروان واخـذ العلوم عن رجالها ثم حج ودرس بالمشرق وعاد الى بلاده وانتصب للتدريس بجامعها الكبير فاخذ عنه اعلام منهم ابو الفضل ابن النحوى وكان اماما فى العلوم العربية والحديث والفقه تبنى الاحكام فى بلده عن فتاويه عالما بالادب له تآليف كثيرة منها : أ) الاعـلام فى معجزات خير الانـام : ب) فضائل الصحابـة : ج) تعليـق على مسائل من المـدونـة لسحنون : د) ديوان شعـر ·

وقد اشتهر ذكره فـى الافاق بقصيدة فريـدة فـى مدح النبى (صلى الله عليـه وسلم) وسيرة الصحـابـة وهى المعروفة بالشقراطسية انشدها بالمدينة المنورة تجاه القبر الكريم طالعهـا :

الحمـد لله منـا بـاعث الرسل هدى باحمـد منا احمد السبل

وقـد خمسها وشرحها ابن الشبـاط ثلاثـة شروح كبيـرا ومتوسطـا وصغيرا وخمسهـا عثمـان بن عتيق المهدوى · توفى عبد الله بمدينة توزر يوم 8 ربيع الاول 466 هـ ودفن ببلد الحضر من توزر وقبره معروف مزار

مصادره ـ أ) محمد النيفر : عنوان الاريب I ص542 ب) مخلوف : شجرة النورص 117 رقم 325 ·

7 ـ **ابو حفص عمـر التوزرى** محدث فقيـه عالم يروى من طريق احمد بن عمر بن انس العذرى الدلائـى المتوفى سنة 393 هـ بالاندلس وقرأ ابو حفص عمـر التوزرى على ابى علـى الصدفى فهـو من رجالات القرن الخامس بتوزر (الحلل السندسية للسراج ج I ص 186)

8 ـ **ابـو الحسن على بن التقيوسـى** ، من رجال القـرن الخامس كـان فقيها شاعرا (الحلل السندسيـة للسراج ج I ص 204 ·)

خامسا ـ العصر الحفصى

وقد نبغ فيه كثيرون من أهل توزر نخص بالذكر منهم :

I ـ محمد بن على بن محمد بن على بن عمر الشباط التوزرى المصرى الشاعر المهندس المؤرخ ·

ترجم لنفسه فى شرحه لتخميس قصيدة الشقراطسى اللامية فقال : (اصله من روم توزر الذين اسلموا ومن الله عليهم بهـذا الدين القويم ورحـل ابوه علـى من توزر فـاقام بمدينـة قسنطينة · وولد ابنه محمد هذا

(I) الحلل السندسية ص 215 ج I مطبوع ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

بها سنة618 ، ثم رجع بـ ه ابوه الى توزر وهو ابن 4 سنوات فنشأ كسلفه فى طريق اكتساب العلوم فاخذ عن علماء توزر ولم ياخذ عن غيرهم وتخرج عليه جماعة منهم ، ابو عبد الله محمد بن حيان الشاطبى وقد درس بتوزر كما درس مدة بتونس بجامع الزيتونة ثم ولى قضاء توزر ويقال له المصرى لان احد جدوده استوطن القاهرة زمنا · قال محمد النيفر : (برع فى العلوم واصبح اماما فيها انتفع به الناس واقتبسوا من معارفه وكان شاعرا مفلقا من شعره تخميس القصيدة الشقراطسية · وقد شرحها بثلاثة شروح كبير ووسيط وصغير كلها جليلة الفائدة خصوصا الكبير والوسط دل على تبحره فى العلوم فانه يتكلم على البيت من جهة اللغة والصرف والمعانى والبيان والبديع والاثار والتاريخ ومن كل علم يمس شرحها · ابتدأ فى الشرح سنة 663 فى اواخر جمادى الاولى) ·

وله تصانيف كثيرة منها : 1) صلة السمط وسمط المرطاربعة اجزاء كبيرة فى الادب والتاريخ جعله شرحا لتخميس القصيدة الشقراطسية فى السيرة ، 2) تخميس القصيدة الشقراطسية : 3) الغرة اللائحة وهو كتاب غريب فى بابه وهو انه رأى جديا اسود غرته بيضاء وفيها ما يقرأ بالاسود (محمد) فنظم فيه شعرا والف كتابا ·

وابن الشباط هو من ناحية مؤرخ توزر والجريدوشاعرهما فى عصره وهو على الخصوص مهندس بارع قد قسم مياه توزر على الاسلوب الذى شاهده التجانىوذكره فى رحلته وهو مشاهد الى اليوم وبه يعمل · ويعتبر ابن الشباط من اكبر المهندسين والرياضيينالمسلمين ·

وتوفى ابن الشباط ليلة السبت 11 ربيع الثانىسنة 681 هـ 1282 م ودفن ببلد الحضر فى مقصورة الى جانب الشقراطسى وقبره بسيط والبناء متداع الى السقوط وليس هناك على الجدار ترجمة له تفيد الزائرين وتنبه الناس وابناء البلد الى قيمة هذا العالمالجليل · ولعل من الخير ايراد بعض مقاطيع من تخميس الشقراطسية :

ابدا بحمد الذى اعطى ولم تسل وذد به ريب رين الاين والكسل
فالحمد احلى جنى من طيب العسل (الحمد لله منا باعث الرسل
هدى باحمد منا احمد السبل)
خلاصة النضر من نضر ومن مضر واول الخلق تشفيعا بلا نظر
من لا نظير له فى راى ذى نظر (خير البرية من بدو ومن حضر
واكرم الخلق من حاف ومنتعل)
انباؤه صادق الانباء حققها سلمان اسلم لما ان تنشقها
وقس مسكتها قس وفتقها (توراة موسى اتت عنه فصدقها
انجيل عيسى بحق غير مفتعل)
كم ام شرعتها من امة وردت خصت باسرار ذى الاسراء وانفردت
وسرها ما روت منها وما سردت (اخبار احبار اهل الكتب قد وردت
عما راووا او رووا فى الاعصر الاول)

مصادره : 1) صلة السمط لابن الشباط ترجم لنفسه فى اول الكتاب : 2) الرحلة العياشية ج 2 ص 253 3) صدور الافارقة (خط) ، 4) كشف الظنون فى مادة القصيدة الشقراطسية : 5) النيفر : عنوان الاريب ج 1 ص 65 ،6) الزركلى الاعلام ج 7 ص 172،7) مخلوفشجرة النور ص 191 رقم 641 ·

2 ـ ابو زيد عبد الرحمان بن على التوزرى شهرابن الصائغ

ولد فى اواخرالقرن السادس بمدينة توزر وتعلم بها ثم انتقل الى تونس فتخرج على اشياخها فصار فقيها عالما وفى يوم الاربعاء 2 صفر سنة 646 اخر الاميرابو زكرياء الحفصى عبد الرحمان بن نفيس عن قضاء الحضرة وقدم عوضه ابن الصائغ التوزرى لما آنسه فيه من علم وفضل وبقى على خطته هذه الى سنة 657 فاخر عنها وقدم اليها أبو القاسم بن البراء الهدوى وفىسنة 659 توفى عبد الرحمانالتوزرى بن الصائغ بمدينة تونس (تاريخ الدولتين للزركشى) ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

3 ـ ابو محمد عبد الله بن يعقـوب

من علماء توزر فـى العصـر الحفصـى تحدث عنـهالتجانى وزار قبره وضريحه لا يزال معروفا الى الان
مصادره : أ) رحلة التجانى ب) الحلل السندسية 206
وفاته : توفى بتوزر يوم 7 جمادى الاخرى سنة 702 هـ

الخـاتمـة

سنتحدث عن علمـاء توزر فـى العصور الحفصيـةوالمرادية والحسينية بمزيد تبسط فى فرصـة اخرى ولقد راينا من الخير ان نورد عجالة عن شاعر توزرالاغر وابنها الابر ابى القاسم الشابى وها هى ذى :

ابـو القاسم الشابـى :

هو ابو القـاسم بن محمد بن ابى القاسم الشابـىكبير شعراء اوائل القرن بالديار التونسية ولد بربض الشابيـة من مدينة توزر سنـة 1909 وقرأ بالزيتونـةومدرسة الحقوق التونسية ودرس بالخلدونية اصول الادب وفن الشعر وتنقل بين توزر وزغوان والمشروحةبالجزائر واختلف الى النوادى الادبية (قدماء الصادقية، الخلدونية ، مطبعـة السنوسى) وغيرهـا وطالع كثيرالا سيما الانتاج الاندلسى والمهجرى وغالب ما تـرجم من الادب الاوروبى وتأثر بمحيط الواحات الصحراوية وغابات الجبال، وانجمع فانطلق لسانه بالشعر واصيب بالقلاب فاثر على حياته ومعنوياته وجعل طابع التشـاؤميغلب عليه وعاش فىجو استعمارى قاسىحال بينه وبين التفاؤل وتوفى فى 9 اكتوبر 1934 ودفن بروضة الشابى بالشابية من توزر ٠

خلف ديوان شعر مطبوع ورسائل الشابى والخيالالشعـرى عند العرب : ويوميـات الشابـى وشعـراء المغرب ٠

مصادره

أ ـ الكتب : 1) زين العابدين السنوسى : الادب التونسى فى القرن الرابع عشر (اول ترجمة ومختارات للشـابى) 2) ابو القاسم كرو : كتاب كفاح الشابى 3) نعمـات احمد فـؤاد : ابـو القـاسم الشابى 4) عمر فروخ شاعران معاصران : 5)محمد عبد المنعم خفاجة ، مذاهب الادب ٠

ب ـ المعاجم : الزركلى ، الاعلام ج 6 ص 20 ٠ عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ج 8 ص 121 ٠

ج ـ الـدوريـات : الاداب س 1 ع 6 ص 30 ، 32 ، 64 ٠

ـ الاديب س 4 ع 2 ص 49 على سعـد ، الاديب س12 ع 1 ص 61 ـ 63 ٠

عبد القادر القط ، اديب س 12 ع 3 ص 12 ـ 13 ٠ احسان عباس: الاديب س 14 ع 3 ص 58 ، 59 الاسبوع التونسية : 24 نوفمبر 1952 ، رضوان ابراهيم : الحجس 10 ع 1 ص 21 ، 25 ، ابراهيم الشابى الحديث 27 124،126 ، جمال الفاخورى : الرائد العربـى بحمـاةس 1 عدد 12 ص 28 رجاء عبد المؤمن النقاش : الرسالة بالقاهرة 18 ، 1314 محمد كرو : الرسالة بيروت 3 : 268 ، حسن سيالله : الرسالة بالقاهرة 2 : 1828 ثم 18 1314 ، محمد كرو : صوت البحرين س 2 ع 6 ص 17،جورج جرداق : الطريق س 5 ع 11 ص 9 العالم الادبى س 3 ع 14 ص 5 سمير نجيب ، العرفان 42 : 866 ،محمد مندور : المجلة بالقاهرة عدد حزيران 1957 ص 68 المعلم العـربى بدمشق 8 ، 184 ، النـدوة : العـددالخاص بـذكرى الشـابى اكتوبـر 1953 مجلة الفكـر التونسية فى اماكن مختلفة جرائد : الزهرة ، النهضة،العمل والصباح ، فى أمكنة مختلفة ، مجلة : السنة الثانية : الثلاثة أشهر الثانية ص 173 ـ 178 ٠

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
E'NNEJMA EZZAHRA

محاضرة الاستـــاذ محمد الحبيب المحامـــى

نشأة الغناء عند العرب

حياة الصحراء واثرها فى الشعر والغنـــاء

عاشت العرب قرونا واحقابا فى بداوة ركن صحرائها ·والصحراء محراب عظمة الطبيعة ، واجمل ما فى هـــذه الصحراء ، فطرتها وبعدها عن التصنع والتكلف ، اومـانسميه بالطبيعة البكر ، النى تبوح للمتملى فيها باسرارها فى انسجام وهدؤ ، وتجعل منه شاعرا موهوبا ، وموسيقارا مرهف الحس مشبوب العاطفة · هذه الصحـراء التى توحى لمن ضمته فى احضانها بالخيال :لشعرى الصافى ،وبالنغم الطبيعى الصادر عن وجدان رقيق ، المنبعث عن احساس لاصنعة فيه او تكلف · هذه الصحراء التى كانت تحفل بالفروسية وتتخلق اهلها بالنخـوة والشهامـة ، وتفاخر بالغارة والكرم ، وتقطع على ظهور نوقها وخيلهـاالعراب الفيافى والمفاوز ، وترعى عبيدهـا والاماء الشاة والابل تنتجع المياه لتتخذ منها المنازل والدارات ، لانهالاتعتمد فى معاشها الا على الضرع لجفاف الطقس وشح الزرع ·

كل هذه الامور اسباب طبيعية تحقق للعربى فى جـاهليته الاولى ، خصب القريحة الفنية ، واتساع الخيال ، وقوة التامل ، فيـرتجل عن سليقة شعرا متناسق التفـاعيل ، عذب القوافى ، خفيفا على الاذن واللسان ، لانـــه رصف احرف كلمة وحركها حسب تساوق اجـراسها ،مستعملا فى النطق بالكلام كل وظائف الفم ، محكما فى صوغها سهولة النطق وابعاد الاستثقال ، مراعيا الجـرس المعين على تصوير المعنى ، وهذا التنغيم هو الذى هدى العربى لانشاد الشعر والتزام القافية ، فكان ضربا فى الكلام المتناسق المنغم ، قبل ان يكون فنا وثقافة ، وكذلك نشأ الغناء فى جاهلية الامة العربية الاولى ـ كما نشأ عندالامم الاخرى ـ فطريا واعانت الصحراء وحياة البداوة على انبعاثه عن حس مرهف ، شجى النغم ، جميل الترديد ·

نشأة الشعـر والغناء :

بواعث الغناء هى بواعث الشعر ، يصدران عن العاطفةويعبران عنها ، وطبيعى ان يكون الاصل لالهام ابن آدم وابنة حواء نظم الشعر هو الترنم بالكلام الذى هو طفولةالغناء لان الشعر استعمله الانسان اداة تعبير عن صـور الحياة ، واحاسيس النفس وجمال الطبيعة كالغناء الذى هو لون من الوان التعبير الانسانى عن احاسيس النفس من فرح وترح تلقاه فى الحياة والحياة مقامة على التكرار والتسلسل والعودة ، والشعر والغناء يقامان على ذلك ايضـا ·

فالتكرار هو السر فى الايقاع ، ايقاع الحياة ، ايقـــاع الشعر ، ايقاع الموسيقى · احدث هذا التكرار والتسلسل فى الموسيقى ، الجملة الموسيقية ، كما احدث فى الشعـرالعربى ما نسميه ، بالتفعلية وفى الشعر الاعجمى مـــا يسمونه بالمقطع ، وكما يستدعى وجود التفعلية تجانس الكلمات واتفاقها فى التركيب ، وانتظام الساكن والمتحرك فيها كذلك يستدعى وجود الجملة الموسيقيـة ترتيـــب النماذج ، وتسلسل الانغام ، وتجانس الاصوات ، ونشأت القافية ايضا هذه النشأة ، فى اول امرها كانت سجعة ربما اكتفى فيها بتجانس الحروف فى المخارج ، ثم التزمت من نفس الحرف فى آخر الابيات ، ومـــن نفس الروى ،تمشيا مع الغناء لانها قوية الشبه بوقفـــات المغنيـــن ، ونهايات العازفين ، وسكنات الناقرين بالدف ، والمصفقين بالاكف ، والموقعين بالقضيب والاقدام ، فهى نهاية النفس فى البيت ، واستراحة من البيت الى البيت ، ولانها مضافة الى الوزن تكسب الشعر رنينا ، وتزيـــده موسيقى ،

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وتنوعت البحور وفق الموضوع ووفق الحالة النفسية للقائل ، كما تنوعت الانغام والضروب لنفس السبب ، ولتحدث هذه وتلك التاثير المطلوب فى النفس وجدت فى الغناء موسيقى النغمات والالحان ، وفى الشعر موسيقى الالفاظ والاوزان ، وكما ضبط الشعر بالتوقيع قبل ان يضبط بالتفاعيل فاطلقوا على انواعه : الرجز والهزج والقريض والمقبوض والمبسوط ، ضبطوا الغناء بالايقاع قبل الانغام فقالوا : الثقيل والخفيف والرمل والهزج ·

وكان من الطبيعى بعد وجود الصوت ان توجد الكلمة ، وبعد وجود النغم ان يوجد النظم ، ولهذه الصلة ايضا من الطبيعى ان ينسجم الشعر مع المغنى لوحدة الارتكاز ، وان يقال للشاعر عندما يتلو قصيده : انشد القصيد ، ويقترن الشعر بالانشاد ومن الطبيعى ان يغنى الناس بكلام موزون يساير الحان الغناء ، وتطرب له الآذان ، ويخضع الى النغمات التى تطابق العاطفة وتطاوع التغنى ، فتخيروا الكلمات المنسقة مع النغم الذى فى النفس ومن الكلمات التى جرت على الالسن قولهم : الرجز الابن البكر للشعر ، ولد من اب هو السجع وام هى الغناء ·

ويقول علماء النفس الشعر والموسيقى يخاطبان العقل الباطن مباشرة ، ويناجيان الذاكرة راسا ، وهذا يزيد فى لحمة صلتهما ، ويجعلهما زهرتين من ازهار الآداب ، احداهما ذات عطر شذى ، والاخرى ذات اريج عبق ·

***

طبيعى ان يتغنى العربى للتعبير عن مشاعر النفس وخوالجها يتغنى فى الاعياد والمواسم والافراح ، وعند نزول الغيث بعد محل ، وفى ازدياد مولود ونبوغ شاعر ، يتغنى للتسرية عن النفس والتخفف من اعباء الحياة ، كلما الم به ملم من ضيق او هم ، او عندما تنزل به النازلة فيحتاج للبكاء والنوح تنفيسا للكرب بالدمع او اثارة لحماس الاخذ بالثار ، او عندما يزاول عملا شاقا فتعوزه التسلية كمتح الماء من بئر عميقة القرار يرتفع دلوه فيها وينخفض ، او كلما انهكه التعب من معاناة بللت منه الجبين ، او كلما ضجر من وحدة فى البيت او فى القفر وهو يقطع المهامه على ظهر راحلته ، فتارة تمشى به متئدة ، وطورا مرقلة ، وهو على ظهرها يهتز هزات تبطىء وتسرع ، تطول وتقصر او عندما يشن الغارة على متن فرسه يهجم فى الحرب جريا ووثبا ، وينازل العدو كرا وفرا ، لان الغناء وسيلة تانس وترفيه وتسرية واستعادة للنشاط ، وقد يكون ايضا ذريعة استجمام تسترجع بها النفس من عناء التفكير وقد تبسم له الحياة فيدفعه الحبور الى رفع العقيرة بالانشاد ، معبرا عما اكنته الجوانح من سرور ، وهو اذ يترنم او ينشد او ينوح او يغنى ، يتقطع صوته وفقا لحركات جسمه ، وهزات نفسه ، وتتقطع كلماته ومقاطعه الى اجزاء متزنة منسجمة متساوقة ·

كانت ميزة المغنى فى جمال صوته ، وتموجاته ، وذبذبته المستمرة ، وخفته ، وطول نفسه ، مع المحافظة بقدر ما نسمح به السليقة على اتساق المقام ، وانسجام النغم ، السليقة التى خلصت كلامه من تنافر الحروف ، وتنافر الكلم ، والاستثقال ، خلصت انغامه من مثل ذلك ، فجاءت بسيطة ولكنها سالمة من العيوب وما يمج او يسترذل ، لانشك اذن فى ان العرب كانت تتغنى فى جاهليتها الاولى ، غناء فطريا ، له طابع محلى ، وليد اذواقها واحاسيسها غير الغناء الذى اقتبسته عن الامم ، بحكم طبيعة الحياة غناء عربيا ولدته طبيعتها واذواقها ، وغذته بما وافق آذانها من اغانى الامم ، كما عرفت ما عند الامم من آلة وموسيقى ، وانتقت منها ما راق لها ، واستمر الاخذ والعطاء بعد ذلك بحكم الصلة ، حيث ترددت اشراف العرب على بلاط قيصر وايوان كسرى ، وارتاد تجارها فى رحلتى الشتاء والصيف اقاصى شواطىء اليمن وبلاد الحبشة والشام والعراق ومصر وما جاورها ، وجلب النخاسون القيان مغنيات وعازفات وراقصات ·

القيان عند العرب :

لو راجعنا كتب اللغة فى مواد : ق ى ن ـ ق ن ن ـ ق ن أ ـ وتاملنا ما جاءت فيها من معان وما تصرف فيها الاستعمال وأطلقها عليه لامكننا أن نرجعها لاصل ثنائى هو : ق ن · اصل يدل على معنى العمل والصنع ، وآلتهما ، والتملك ·

فكل خشبة عند العرب قناة ، ومنها العصا والرمح ، والقان شجر للقسى ينبت فى جبال تهامة ، والقناة من الرماح ما كان اجوف كالقصبة ، والكظائم التى تجرى تحت الارض قنوات ، واحدتها قناة ، ويقال لمجارى مائها قصب تشبيها بالقصب الاجوف ، ومن هذا الباب قناة الانف وقصبته ، والقنا احديداب فى الانف ، والقن :

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

الضرب بالعصا ، وقان الشيء له ، وقن الحديد قينا ، عمله وسواه ، وقان الاناء يقينه قينا : اصلحه وانشد ابو الغمر الكلابى لرجل من الحجاز :

ولى كبـــد مجروحـة قد بـدت بهـــا صـــدوع الهوى لـــوان قينا يقينهـــا

اى عامل يصلحها ، فكل صانع او عامل قين وكـــل صانعة قينة ، قال السكرى : كل صانع يعالج صنعة بنفسه فهو قين الا الكاتب ، ثم خصص الاستعمال القين لمن يعمل بالكير ويصنع الحديد ، وكل صانعة قينة ، ولما كـــان احتراف الصناعة ومثافنة العمل مما يقوم به العبيد والاماء عند العرب دون السادة والحرائر ، اطلقت كلمة القين على العبـد ، والقينـة على الامة ، وقيل القين : العبـد وكل صانع ، والقينة الامة وكل صانعة قال زهير :

رد القيـــان جمـال الحـــى فاحتمـلوا الى الظـهيـــرة أمـــر بينهـــم لبـــك

اراد بالقيان العبيد والاماء ، وقال ابو عمرو : كل عبد عند العرب قين ، والامة قينة ، وعبد قن ملك هو وابواه . والقنية والاقتناء : الاكتساب والحيازة والتملك ، واشتهرت المغنية بالقينة اذا كان الغناء صناعة لها ، لانه من عمـل الاماء دون الحرائر ، وقيل لمن تزين العروس والماشطـة مقينة وقينة لانها صانعة تزين النساء شبهت بالامة التى تصلح البيت وتزينه ، واتخذت ذلك صناعة لها كالمغنية .ومن هذا الباب اقتانت الروضة اذا ازدانت بالوان زهرها قال كثير عزة :

فهـــن مناخـــات عليهـــن زينـــة كمـا اقتـان بالنبت العهـــاد المحـــوف

وقنا الشيء واقتناه : اذا اتخـــذه لنفسه لا للتجارة ·وقنت لله : اخلص له العبادة ، والقنو : العذق بما عليه لانه ملازم لشجرته خاصة ، والمقناة من الظل : المكان الذى لا تصيبه الشمس والظل لا يفارقه ، وقناه اذا خالطه وازجه كاللون يقانى لونا آخر يناسبه ، ومن ذلك قولهم : مـــايقاننى هذا اى ما يوافقنى ويلائمنى ويناسبنى ، والمعنى انه ينبو عنى فلا يمازجنى لعدم التناسب بيننا ·

والخلاصة ان القين الصانع والعامل ، وخصصه الاستعمال بعامل الحديد والكير ، والقينة الصانعة والعاملـــة ، وفرض النظام الاجتماعى عند العرب فى الجاهلية ان العمل واحتراف الصناعات مما يقوم به العبيـــد والامـــاء دون السادة والحرائر ، فوقع تعميم اطلاق اللفظ على كـــل عبد وامة ، ثم خصص الاستعمال القينة بالمغنية المحترفة ، والمقينة بالماشطة ·

ويفيدنا هذا البحث ان العرب كانت تقتنى الجوارى والاماء لانفسها وللتجارة فمن السادة من يجعل جاريته لنفسه ولحفلاته خاصة ، ومنهم من يكتسب من عملهـــا فتحترف صناعة الغناء ، ويطلقون عليهـــا عـدة اسماء : مسمعه وهـى النافخة فـى القصب والضاربـة بالدف ،وصادحة وصدوح ، وهى المغنية ذات الصوت الصداح ، وكرينة وهى الموقعة على الكران (العود على حالته البدائية) والداجنة والمدجنة : المغنية الدربة ، والصناجة الموقعـــة على الصنج ، قال لبيد :

وسمـــاع صادحـــة وجـذب كرينـــة بمـوتـــر تـأتـالـــه ابـهـــامـهـــا

وقال الاعشى :

وشـاهـدنـــا الـــورد والياسميـــ ـــن والمسمعـــات بقصـــابهـــا
ومزمـــرنـــا معمـــل دائـــم فـــأى الثلاثـــة أزرى بهـــا

وقال يمدح قيس بن معدى كرب الكندى :

هـــو الواهـــب المسمعـــات الشرو ب بيـــن الحريـــر وبيـــن الكتـــن

وقال المعقر بن اوس يوم شعب جبلة :

فبتنا لدى الواو نضيفا وبتنا بنعمـــة لنـــا مسمعـــات بالدفوف وسامـــر

مركز الوثائق والدراسات العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وقال حرملة بن حكيم الملقب بابن عسلة الشيبانـــي يعاتب كعبا من بنى النمر بن قاسط لانه عرض لقينته :

ياكعـب انـــك لـو قصـــرت عـــلى حسن النـــــدام وقلـــة الجـــرم
وغنـــاء مسمعـــــة تعللنـــا حتى نـــؤوب تنـــاؤم العجم
لوجـــدت فينـــا مـا تحول من صـــافى الشراب ولـذة الطعم

وقال بشر بـن عمرو بن مرثد :

وتبيـــت داجنـــة تجـاوب مثلهـــا خـــودا منعـمـة وتضـــرب معتبـــا

وقال الاعشى :

وصـــــدوح اذا يهيجهـــــا الشر ب ترقـــت فى مزهـر منـــدوف

وقال ايضا :

ومسمعتـــــان وصنـــاجـــــة تقلـب بـالكـف اوتـــارهـــا

وكانوا يطلقون على الثنائى اسم الجرادتين ، تشبيهـــالهما بجرادتى الجرهمى اللتين غنتا لوفد عاد ، قال الشاعر

يغنينـــا الجـــراد ونحـــن شرب نعـــل الـراح خالطهـــا السرور

وقـــال طرفة :

ندامـاى بيض كـالنجـــوم وقينـــة تـروح علينا بين بـــرد ومجسد
اذا نحـــن قلنا اسمعينا انبـــرت لنـا عـــلى رسلهـــــا مطروفـــة لم تشدد

وقال عبد يغـــوث :

وأنحـــر للشرب الكـرام مطيتـــى واصـــدع بيـــن القينتيـــن ردائيـــا

وقال عبدة بن الطبيب :

تـــذرى حـــواشيـــــه جسـدا، آنسة فى صوتهـــا لسمـــاع الشرب ترتيـل ،
تغـــدو علينـــا تلهينـــا ونصفـــدها تلقـــى لبـــرود عليها والسراويل

اى تغنينا فنصفدها : فنعطيها ونخلع عليها الحلل
وقال عمرو بن الاطنابة :

علـــــلانى وعلـــلا صـاحبـــى واسقيـانى مـن المـــروق ريـا
ان فينـــا تعـــزف بـــالـــــد ف لفتياننـــا وعيشـــا رخيـا
يتبـــارين فى النعيـــم ويصبـــــبن خـلال القـــرون مسكـا ذكيـــا
انمـــا همهـــن ان يتحليـــــن سموطـــا وسنبلا فارسيـا
مـــن سموط المرجـــان فصل بالـــدر فـأحسن بحليهـــن حليـــا

الغناء بجنـــوب الجزيرة :

جنوب الجزيرة العربية يتكون من مرتفعات اليمـــنوعسير وحضرموت ومهرة وعمان والشحر ويلحق بـــه الصحراء الكبيرة المعروفة بالربع الخالى ، ونجران وهـو موطنخصب فى الارض ، مطره منتظم الفصول فى تهتانه ، ويطلق على هذا القسم ، اسم بلاد العـرب السعيـــدة ،لاعتدال اكثر مناخ اجزائه ، وكفاية امطار بعض اجزائه ، لوقوعها فى منطقة الرياح الموسمية ، وخصب تربتها ،ولهذه المزايا كان اعرق اقسام الجزيـرة فى الحضـارة ، واقدمها فى التاريخ ، وتتميز موسيقاه بالقدم والسبق ،وتاثرها اكثر بالموسيقى الامهرية .

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

تاسست بهذا القسم فى عهد سحيق دولة عاشت باليمن فى ما قبل القرن الخامس و لعشرين قبل الميلاد كشفت العاديات عن اطلاق اسم بنط عليها ، وخلفتها ،دولة قعين بعاصمتيها القرن (قرناو) ويثيل ، دامت لحوالى القرن العاشر قبل الميلاد • وفى اواخر ايامهـــا نشات بجنوب اليمن دولة سبأ ، التى اتخذت عاصمة لها صرواح واستمر على حكمها امير كاهن يطلق عليـه اسم مكـرب سبا ، وفى القرن السادس قبل الميلاد انفصلت الكهانـة عن الملك وتاسست دولة سبأ الاخيرة التى اتخذت مدينة مارب عاصمة لها ، وسمى سيدها ملك سبا ، وفى سنة 115 ق•م • قامت الدولة الحميرية الاولى ، وعاصمتهـــا ظفار ، وفى سنة • 300 م قامت الدولة الحميرية الثانيـة التى سقطت سنة 525 م• وتغلب الاحباش على اليمـــن واتخذوا صنعاء عاصمة ، وفى سنة 575 م انتزعها الفرس، الى سنة 632 م حيث فتحها المسلمون ، ويلحق بهذا القسم مملكة عاد الاولى بارض الاحقاف التى تقع الى الشمـــال الشرقى من حضرموت ، فى جنوب الربع الخالى بين اليمن والبحرين ، سادت قبل الفى عام من الميلاد وبعث لهـــا النبى هود عليه السلام ، كما قامت قبيلتا طسم وجديس باليمامة ، مقرهما جوا والعروض بقلـب نجـد ، وفى حدود القرن الرابع للميلاد تغلبت طسم على اختها جديس وعسفت بها ، وفى حوالى القرن الخامس للميلاد ابتلعت الدولة الحميرية القبيلتين •

اثرى اهل اليمن من مركزهم التجارى فى العالم القديم، ومن خصب ارضهم التى كـان يطلـق عليهـا اسم ارض البخور المادة التى تتنافس فى اقتنائها الامم ، لتحرق فى معابدها وتعطر بها اصنامها واوثانها ، وكانت التجـارة قديما فى قبضة اليمنيين ، حلقة الاتصال بين الشرق الاقصى والشرق الادنى ، وكان لسبا اسطول بحـــرى يجوب البحار فى العالم القديم ، الى ان نافسته فينيقيا وبابل

تروى لنا كتب الادب العربى ان تبع بن اليشرح الملقب بذى جدن ، لقب بذلك لصوته الجميـل ، وذو جـدن فى الحميرية صاحب الصوت الجميل ، وفى بعض الروايات انه أول من تغنى باليمن من الامراء ، او قل اول من اشتهر بذلك وبلغنا علمه ٥ وكذلك تبع الاخير علس بن زيد ، المتوفى سنة 525 م لقب بذى جـدن ايضا لجمـال صوتـه • وتلقيب ملك بذلك دليل على اهتمام الامة بالغناء ، ومقامه الرفيع بينها وفى آثار نجران ، التى هى من عواصم اليمن الشمالية ، ما يدل على تقدم الغناء هناك وبلغتنا احاديث عن قيان عبد المسيح بنجران الممتازات ، ومدائح الشعراء فيهن ، وما كان لهن من تقدم فى الغناء ، كما بلغتنا انباء ما شاع باليمن من اناشيد الحبشة الدينية ، التى يسمونها : الملكى، وتصف القديسين والشهداء، على نحو نشيد الانشاد فى التوراة ، واستمرت ذائعة على حناجر متنصرة العرب الى ان قضى عليها الاسلام ، وقال الهمدانى عن النياحة فى اليمن : ان الرجل المنظور منهم لا يزال يناح عليه اذا مات الى ان يموت مثله فيتصل النواح على الاول بالنواح على الآخر ، وتكون النياحة بشعر خفيف تلحنه النسا، ويتخالسنه بينهن وهن يصحن •

كما يحدثنا تاريخ العرب ، ان غناء اليمن قديم يسمى الحميـرى ، ومحـدث يسمى الحنفى ، وتقبلت اذواق عرب الشمال الغناء الحنفى اكثر • كما يظهر لنا اثر انطباع الموسيقى فى نفـوس القبائـل النازحـة عـن اليمن كالاوس والخزرج ، والغساسنة ، ونكتفى بهذه الاشارة لان التقصى يخرجنا عن الهدف •

الغنـــاء بتخـــوم الشمـال =

قسم على تخوم العراق ، على ضفة الفرات الغربية ، بموضع النجف ، على مقربة من الكوفة وانقاض بابل حيث تاسست مملكة الحيرة وتاثر هذا القسم بموسيقى بابل واشور ، كما بارى الفرس بحكم الخلطة والجوار ، وقسم على تخوم الشام شمل ثمود قوم النبى صالح عليه السلام ، التى كانت بوادى القرى الى شمال الحجاز ، ومدين قـوم النبى شعيب عليه السلام ، على الساحل الشرقى للبحر الاحمر بالجنوب الشرقى من مدينة العقبة ، والعمالقة الذين امتدت قبائلهم على أطراف الجزيرة الشمالية وتألفت من بقايا هذه القبائل البائدة دولة الانباط بالشمال الشرقى من شبه جزيرة سيناء حوالى 500 ق ، م ـ واسسوا البتراء عاصمة لهم ، ثم خلفتها تدمر وبصرى بعد ، وتاثر هذا القسم بموسيقى الحواضر المصريين وعبران وروم وفرس •

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

لم يستأثر عرب الجنوب بالتجارة وموارد الثروة وحدهم ، بل كان لعرب الشمال نصيب ، وشاركتهم دويلات قامت على مراكز الطرق التجارية ، وهذه الدول بحسب ترتيب ظهورها بتخوم الشام ـ دولة الانباط ـ دولة تدمر ـ دولة الغساسنة من آل جفنة ، وبتخوم العراق = دولة المناذرة من آل لخم ودولة كندة ·

ونجتزى بكلمة عن تدمر والحيرة للدلالة عن مكانة الموسيقى فيها ·

ففي تدمر رغب تجلات ـ بلسر الثالث (745 ـ 727 ق ، م) مؤسس الامبراطورية الاشورية الثانية فى ضمان سلامة الطرق التجارية العامة التى تخترق انحاء الامبراطوية الشاسعة وتنحدر الى البحر الابيض المتوسط ، فقاد سلسلة من الحملات ضد بلاد الشام والمنطقة المجاورة لها ، تتابعت حملات اخلافه سرجون الثاني وسنحاريب واسرحدون وآشور بنيبال (668 ـ 636 ق ، م) الذى استولى فى الحملة التاسعة على يؤيتع بن حزائيل ، زعيم قبيلة كدرى الذى كان مستوطنا تدمر وعلى جنوده ، وساقهم اسرى الى بلاده ، وعثر باحد نقوش أشور بانيبال ، الراجع تاريخها للقرن السابع قبل الميلاد ، على ما يدل على اعجاب أهل أنيبال بالغناء العربى ، اذ يلاكر هلا الاثر ، ان الاسرى العرب كانوا وهم يمارسون اشغال سادتهم الاشوريين يتغنون باغان مطربة لتسرى عنهم النصب ، الامر الذى اطرب الاشوريين وجعلهم يسألون اسراهم المزيد ، ويحتفلون بسماع أغانيهم العذبة ·

كما يروى لنا التاريخ عن دولة الغساسنة من آل جفنة التى هاجرت من اليمن وتنقلت بين عسير والحجاز ونجد والبلقاء واستقرت ببصرى ، انها كانت عربية فى كل مظاهر حضارتها ، قصدها شعراء العرب ، وحفلت قصورها بمجالس الطرب ، فلقد روى حسان بن ثابت (حوالى 593 ـ 683 م) شاعر النبى صلى الله عليه وسلم اخبار مجالس الطرب التى كان يقيمها جبلة بن الايهم آخر بنى غسان ، ووصف مجلسا حوى عشر قيان ، اهداهن اليه اياس بن قبيصة ، يوقعن بالمزاهر ، خمس روميات يغنين بالرومية ، وخمس نبطيات يغنين غناء اهل الحيرة ، وجاء فى حديثه ايضا ان المغنين كانوا يفدون من مكة على جبلة بن الايهم ، فيسمع منهم ويجزل لهم الصلات ·

اما مملكة الحيرة وملوكها المناذرة من آل لخم ـ بطن من تنوخ ـ التى تأسست حدود سنة 240 م ودامت سيادتها الى سنة 633 م وعصرها الذهبى شمل القرنين الخامس والسادس ميلادى ، فقد كان لها المقام الاظهر ، اصبحت الحيرة فى عهد امرائها من لخم ، كعبة تقصد للتادب والثقافة ، فلقد ارسل كسرى الفرس يزدجرد الاول (399 ـ 420م) ابنه بهرام جور الى النعمان بن امرى. القيس (403 ـ 431م) ليتلقى ثقافته بالحيرة، فتعلم هناك الموسيقى ، وكان لها السوق النافقة ، وشغف بها ، ولما تولى عرش فارس ، رفع شأن الموسيقيين ، فى البلاط الفارسى ·

وكان لمكان الموسيقى فى الحيرة مقام عظيم · وموسيقى الحيرة عربية فى اللجمة والسدى ، قصدها الرواد من كل مكان ، وحفلات قصرى النعمان الاكبر بن امرىء القيس ـ راس آل لخم ـ المعروفين بالخورنق والسدير ، الذى شملت مكانهما مدينة الكوفة فيما بعد ، لهجت بها شعراء العرب والنعمان الثالث بن المنذر (585 ـ 602 م) أخذ عليه مؤرخوه اقباله على الموسيقى وانكبابه عليها ، واعراضه عن تدبير مهام الدولة والنعمان هذا صاحب النابغة الذبيانى والاعشى ، وقاتل عبيد بن الابرص وعدى بن زيد ، وكانت له قينتان اشتهرتا بحسن الغناء حتى لقبتا بالجرادتين · وحفظ لنا الادب العربى نبأ هريرة وخليدة ، قينتى بشر بن عمرو بن مرثد ، احد سراة الحيرة ايام النعمان الثالث ، وتغنى الاعشى متغزلا فى اولاهما بقصائد تروى فى كتب الادب كما روى المؤرخون ان بشرا هذا لما هرب من النعمان الى اليمامة اخذ جاريتيه معه ·

واخيرا روى لنا التاريخ ان النضر بن الحرث بن كلدة القرشى المتوفى صبرا سنة 624 م تعلم الطب والموسيقى بالحيرة ، وقدم الى مكة بشىء جديد ، فى عصر الرسالة منه البربط (العود الفارسى) وقصص ابطال الفرس ، وكان له شأن فى مقاومة الدعوة الاسلامية ، نشر أحاديث ملوك الفرس وعباداتها واقوالها فى الخير والشر وفى عناصر الكون ، واساطير رستم البطل الخرافى الفارسى ، واسفنديار المغامر ، تحدى النبى صلى الله عليه وسلم فى بدء الرسالة ، فكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا يبشر وينذر ، خلفه فى مجلسه النضر فيقول : انا والله يا معشر قريش احسن حديثا منه فهلم الى فانا احدثكم احسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن الاساطير ويغنيهم ، فكانت سفهاء قريش تجتمع على سماع احاديثه واغانيه ، وفى النضر هذا انزلت آيات (68 = 15) « واذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين » وقوله تعالى (31 = 6 ـ 7) « ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزؤا اولئك لهم عذاب مهين » ٥ وكان يحرض السفهاء ليحرفوا ما يتلو عليهم الرسول من آى

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

الذكر الحكيم قائلا : لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، واسر المقداد النضر فى غزوة بدر الكبرى . فلما انصرف المسلمون من الغزاة نزلوا بالصفراءفقسمت الغنائم ثم أمر صلى الله عليه وسلم فضرب عنق النضر صبرا وكانت بذلك خاتمته ٠

انواع الغناء عند العرب

نقل ابن رشيق القيروانى فى العمدة عن اسحق الموصلى قال :

وغناء العرب قديما على ثلاثة أوجه = النصب والسناد والهزج، فاما النصب فغناء الركبان والقينات ، وهو الذى يستعمل فى المراثى ، وكله يخرج من أصل الطويل فى العوض ، واما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات ، واما الهزج فالخفيف الذى يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار ، فيطرب ويستخف الحليم ، قال أسحق: هذا كان غناء العرب قديما حتى جاء الله بالاسلام وفتحت العراق وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم ، وتغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية ، وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير ، بهذه الكلمة الموجزة اجملوا تاريخ الغناء فى الجاهلية ولكننا بالتتبع نجد :

ان الغناء فى الجاهلية لم يكن يتميز بايقاع أو لحن وانماكان يتميز بالموضوع وربما بعض الاسلوب فالحداء اقدم أنواع الغناء عند العرب ، كما أجمع عليه مؤرخو الآداب ، تفنن العرب فى الحداء فصنعوا منه البدائع ، يصنعونه من بحر الرجز ، الذى يصنعون منه اراجيز الحرب والغارات ايضا ، وميزوا منه نوعا سموه الركبانى احب انواع الحداء اليهم ، وامتلات كتب الادب بنوادر الحداة ، كما اكتظت بقائمة موفورة الاسماء بذكر من اشتهر منهم بالصوت الحسن الذى له أثر بالغ على الابل وركابها ينسى قاطع الصحراء مشقة السير وطوله ، كما ينسى السائمة التعب والعطش، وقد تغذ السير الى ان تهلك ٠

روى فى الصحيحين ان عامر بن الاكوع خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة خيبر فقال له الرسول اثناء الطريق اسمعنا من هنياتك (أى اراجيزك) فانشد =

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
ونحن عن فضلك ما استغنينا ... فثبت الاقدام ان لاقينا

وحدا عبد الله بن رواحة بالنبى صلى الله عليه وسلم فى العمرة بعد صلح الحديبية بعام، آخذا بخطام ناقتهفقال:

خلوا بنى الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير فى رسوله
يا رب انى مؤمن بقيله ... اعرف حق الله فى قبوله

وحدا به الحادى فى منصرفه بقوله =

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا ... وثبت الاقدام ان لاقينا
ان الذين قد بغوا علينا ... اذا ارادوا فتنة ابينا
ونحن ان صيح بنا أتينا ... وبالصياح عولوا علينا

ونحن عن فضلك ما استغنينا

وحدا عدى بن ابى الزغباء بجيش المسلمين فى عودته من بدر منتصرا ـ

أقم لها صدورها يا بسبس ... ليس بذى الطلح لها معرس
ولا بصحراء غمير محبس ... ان مطايا القوم لا تخيس
تحملهم على الطريق اكيس ... قد نصر الله وفر الاخنس

مركز البحوث والدراسات العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وجعل صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره البراء بن مالك حاديا للرجال ، وانجشه الحبشى حاديا للنساء ومن الحداء المشهور الركبانى :

دع المطايا تنسم الجنوبا ان لها لنبأ عجيبا
حنينها وما اشتكت لغوبا يشهد أن قد فارقت حبيبا
ما حملت الا فتى كئيبا يسير مما اعلنت نصيبا
لو ترك الشوق لنا قلوبا اذن لآثرنا بهن النيبا
ان الغريب يسعد الغريبا

وحدا الحادى بعبد الملك بن مروان فقال =

يا أيها البكر الذى اراكا عليك سهل الارض فى ممشاكا
ويحك هل تعلم من علاكا ان ابن مروان على ذراكا
خليفة الله الذى امتطاكا لم يعل بكرا مثل ما علاكا

ومن الركبانى ما حدا به رباح بن المعترف فى بعض اسفار الفاروق عليه الرضوان قال :

اتعرف رسما كالطراز المذهب بعمرة قفراغير موقف راكب

فقال له عمر رضى الله عنه = اجدت بارك الله فيك ، فقال رباح يا امير المؤمنين لو قلت زه كان اعجب لى ، فقال وما زه ؟ قال كلمة كان كسرى اذا قالها أعطى لمن قالها له = اربعة آلاف درهم ، قال ان شئت ان أقولها لك فعلت . واما اعطاء أربعة آلاف درهم فلا يجوز لى من مال المسلمين ، قال فبعضها من مالك ، فأعطاه أربعمائة درهم من ماله ، فكانت اول صلات الخلفاء للمغنين فى الاسلام

وكانت العرب تحدو بالاهازيج الحربية ، ويترنمون على متون جيادهم بالاناشيد الحماسية لتحريك احاسيس البسالة فى النفوس واستساغة اقتحام المخاطر ، وكان هذا الضرب من الاغانى يسمح للحرائر بالشدو به كالنواح وأغلب الاغانى من خصائص القيان ، ومن الامثلة :

تغنت اعرابية من عجل يوم ذى قار (وهو يوم لقبيلة بكر بن وائل على العجم بماء قريب من موضع الكوفة ، بعد لبعثة وقبل الهجرة ، كان له أثر فى رفع معنويات العرب) تغنت الحرة تشجع الرجال على الاستبسال فقالت =

وغى وغى وغى وغى حر الحرار والتظى **يا حبذا يا حبذا**
المحلقون بالضحى

ان تهزموا نعانق ونفرش النمارق
او تهزموا نفارق فراق غير وامق

وقامت نساء قريش فى غزوة احد ، وعلى رأسهن هند بنت عتبة ، زوج ابى سفيان ابن حرب يمشين خلال صفوف الجيش ، يضربن بالدفرف والطبول وينشدن =

ويها بنى عبد الدر ويها حماة الادبار

وكقول عمر بن الحمام عند ما وثب للجهاد : ضربا بكل بتار

ركضا الى الله بغير زاد الا التقى وعمل المعاد
والصبر فى الله على الجهاد وكل زاد عرضه النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وكذلك كانت الحرائر تنوح لاثارة الترح فى نفوس المحزونين ، لان الوفاء للعزيز الراحل ، خلة حافظ عليها العرب ، من لدن تنفس الناطق بالضاد على وجه الارض ، ولعنايتهم باخذ الثار حفلوا بالنوح ، لاثارة حفائظ النفوس، ووصلتنا مقالات نائحات عن فقيد عزيز ، ترنمن بها باشجى الاصوات ، كمراثى ام عمرو تماضر بنت عمرو

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

ابن الشريد السليمة الملقبة بالخنساء (المولودة حوالى 575م- المتوفاة سنة 664 ـ) الباكية على اخيها صخر ، والتى كانت تنشدها بصوت شجى ، يستدر الدمع من آمـــاق كل سامع ، ومراثى العرب طفحت بها كتب الادب وناحت بهـا النادبات ·

ومن امثلة ذلك ما ناحت به كبيشة بنت رافع الخدرية على ابنها سعد بن معاذ ، سيد الاوس رضى الله عنه ـ

ويـــل ام سعـد سعـــدا * * صـــرامـــة وحـــدا * * وسـؤددا ومجـــدا
وفـــارسـا معـــــدا * * سـد بـــه مســـدا * * يقدهـــا ما قـدا

ومن مراثى الخنساء فى بكاء اخيها صخر :

يذكـــرنى طلـــوع الشمس صخـــرا وابكيـــــه لكـــل غـــروب شمس
ولـــولا كثـــرة الباكيـــن حـــولى عـــلى اخـوانهـــم لقتلـت نفسى
ومـــا يبكـون مثـــل اخـى ولكـــن أســـلى النفس عنـــه بالتـــأسى

ومن نواحهـا عليه :

ألا يـــاصخـــر ان ابكيـــت عينـــى لقـــد اضحكتنى دهـــرا طويـــلا
دفعـــت بـــك الجليـل وانت حـــى فمـــن ذا يدفـــع الخطـــب الجليـلا
اذا قبـــع البكـــاء عـلى قتيـــل رايت بكـــاءك الحسن الجميـــلا

وكانت النساء تقص الشعر وتخدش الوجـــه وتشق الجيوب فى المـآتم ، قال لبيد يمنع ابنتيه من ذلك :

تمنـــى ابنتـــاى ان يعيش ابوهمـــا وهـــل انا الا من ربيعـــة او مضـــر
فقومـــا فقـــولا بالـــذى تعلمانـــه ولا تخمشا وجهـــا ولا تحلقـــا شعـــر

كما كانت العرب تتغنى فى معالجة المهم من الامـــورفيرتجزون ما يدفع عنهم الكلل ويبعث فيهم الحماس عـلى انجاز الاعمال · فقد سمع النبى صلى الله عليـه وسلم انسا والصحابة يرتجزون بين يديه فى حفر الخندق فـى غـزوة الاحزاب :

نحـــن الذيـــن بايعـــوا محمـــدا عـــلى الجهـــاد مـــا بقينـــا ابـــدا

وبما ان الماء عزيز فى اكثر ارض العرب احتفلوا بحفرالآبار ، والمتح منها ، واثر ذلك فى قريش ، ومكة ارض معطشة نادرة الماء ، يقصدها الحجيـــج فى كـل موسم ، فقامت بطون قريش بحفر آبار وفاخرت بسقى العطاش منها عند المتح :

فاخرت قريش ببئر العجول التى حفرها قصى فقالت:

نـروى عـلى العجـــول ثـــم ننطلـــق قبل صـــدور الحاج مـن كـل افـــق
ان قصيـــا قـد وفى وقـــد صـــدق بالشبـــع للنـــاس ورى مغتبـق

وقال بنو عبد شمس يفاخرون ببئرهم الطوى :

ان الطـــوى اذا شربتـــم ماءهـــا صـــوب الغمـام عذوبـــة وصفاء

وقالت بنو عـــدى :

نحـــن حفرنـــا بئـــرنا الحفيـــرا بحـرا يجيش مـــاؤه غزيـــرا

وقالت بنوا سد :

مـــاء شفيـــة كمـــا المـــزن وليس مـــاؤهـــا بطـــرق أجـــن

وسلب بنو هاشم بئر سجلة لعـدى بن نوفل ، فقالت خالدة بنت هاشم :

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

نحن وهبنا لعدى سجلة *** فى تربة ذات غداة سهلة *** تروى الحجيج زغلة فزغلة

وقال صاحب ابل لماتح معربا عن ان ابله عطشى لاتبين الا بغمغمة او رغاء :

يا ايهـا الساقـى القليـل ذامـه افـرغ لـورد قـد دنا سوامـه
تقدمـه اذرعـه وهـامـه عجـم اللغـات انمـا كـلامـه
تجـاوب بالسجـع او ارزامـه

ولما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم بالحديبية امـر ناجية بن جندب الاسلمى بان يغرز سهما فى جوف بئر ففاض الماء ، واخذ يسقى الناس ، فجاءته جارية من الانصار تطلب السقى وقالت :

يا ايهـا المـاتح دلـوى دونكـا انـى رايـت النـاس يحمدونكـا
يثنـون خيـرا ويمجدونكـا

فقال لها ناجية :

قـد علمـت جـاريـة يمـانيـة انى انـا الماتح واسمـى ناجيـة
وطعنـة ذات رشاش واهيـة طعنتهـا عنـد صـدور العاديـة

وكذلك كانت تتغنى للتعبير عـن مشاعـر النفس وخوالجها ، تتغنى لاستقبال مهم او عظيم ، كما فعلـت فتيات المدينة فى استقبال النبى صلى اللـه عليه وسلم ،عند هجرته للمدينة ، عندما اعتلين السطوح يضربـن بالدفوف وينشدن :

طلـع البـدر علينـا مـن ثنيـات الـوداع
وجـب الشكـر علينـا مـادعـا للـه داع
ايهـا المبعـوث فينـا جئـت بـالامـر المطـاع
جئـت شرفـت المدينـة مرحبـا يـا خيـر داع

والانصار كانوا يميلون بالياء اللينة ويجعلونها حرف مد ، كما نفعل اليوم ، وينطقون بتاء التأنيث كأنها الف لينة فيقولون = علينا بدل علينا والمدينا بدل المدينة

وقالت جوارى بنى النجار فى هذا الاستقبال :

نحـن جـوار مـن بنى النجـار يـا حبـذا محمـد مـن جـار

وكما كانت تتغنى للتسرية عن النفس والتخفف من اعباء الحياة ، وكلما ضجرت من وحدة فى البيت او فى القفر لان الغناء وسيلة تأنس وترفيه وتسرية واستعادة للنشاط ، وقد يكون ايضا ذريعة استجمام تستريح بها النفس من عناء التفكير ، وقد يكون ترجمان المشاعر فى النواح ، وفى الغناء ، وفى التغبير ، فى الاتراح والافراح والتعبد، ففى الاعياد تتغنى ، وفى المواسم ، وعند نزول الغيث وفـى نبوغ شاعر ، وفى معالجة الاشغال ، وفى مثافنـة مهم ، وفى مناداة التجار على السلع ، كقول عقرب الكنانى بائع الحنطة وهو يكيلها =

جـاءت بـه ضـابطـة التجـار صـافيـة كقطـع الاوتـار

ونقل السيوطى فى المزهر قال : كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر ، أتت القبـائل فهنـأتها بـذلك ، وصنعت الاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر ، كما يصنعن فى الاعراس .

وكان من عاداتهم المشهورة ان تغنى الداجنة (القينة) وتعزف طلبا للاستسقاء قال شاعرهم :

ألا يـا قيـن ويحـك قـم فهيمـن لعـل الله يسقينـا غمـامـا

كما كانت القينات تغنى وتعزف حين تمتلى السماء بالغيوم المبشرة بالمطر ، استدرارا للغيث وشكرا لله .

وكرهت المرأة العربية ان تنام فلذة كبدها باكيا فتزعجه الرؤى المخيفة ، وينشأ على الخوف والوسوسة ، فنومته

مركز المخطوطات العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

بالترانيم ، كما دللته بترانيم تتفاءل بمستقبله السعيد ، وأصله المجيد ، وكم فى الادب العربى من اراجيز امهات تزهين باطفال مدللة ، من امثلة ذلك قول منفوسة بنت زيد الخيل وهى ترقص طفلها :

اشبه اخى ، أو اشبهن ابـــاكـــا امـــا أبى فلـــن تنـــال ذاكا
تقصر عـن منالـــه يداكـا

وكقول هند بنت عتبة ، وهى تدلل ابنها معاوية بن سفيان :

ان بـنى معـــــرق كريـــــم محبب فـى اهلـــه حليـــــم
صخـر بـنى فهـــر بـــه زعيـــم لا يخلـــف الظـــن ولا يخيـــم

وكقول ضباعة بنت عـامر بن قرط القشيرية وهى ترقص ابنهـا المغيرة بـن سلمة :

نمى بـــه الى الـــذرى هشـــام قـــرم وآبـــاءلـــه كـــرام
جحـاجـــح خضـــارم عظـــام مـن آل مخـــزوم هـم الاعـــلام
الهامة العليـاء والسنـام

وكقول اعرابية تدلل طفلها :

احبـــــه حـب شحيـح مـالـه قـد ذاق طعم الفقر ثـم نـالـــه
اذا اراد بذله بدا له

وكقول ام الفضل بنت الحـرث الهلالية ترقص ابنها عبد الله بن العباس :

ثكلـت نفـسى وثكلـت بكـــرى ان لـم يسـد فهـرا وغيـر فهـر
بالحسب العـــد وبـذل الـوفر حتى يـــوارى فـى ضـريـح القبـر

وفاخرت ام غلاب ضرتها وهى ترقص ابنها معرضة بـابنة الضرة :

الحمـد لله الحميـد العـــالى انقـذنى العـام مـن الجـوالى
مـن كـل شـوهـاء كشـن بـــالى لا تـدفـع الضيـم عـن العيـال

فاجابت الضرة وهى ترقص ابنتها :

ومـا على ان تكـــون جـاريـــة تغسـل راسى بمسـوك غـاليـة
وتـرفـع الساقط مـن خمـاريـة تحبنـى حبـا وليست قـاليـة
حتى اذا ما بلغـت ثمـانيـة أزرتـهـا بـنيـقـة يـمـانيـة
انكحتهـا مـروان او معـاويـة اصهـار صـدق ومهـور غاليـة

وقـالت ام ولد :

يـا حبـذا ريح الـولد ريـح الخـزامى فـى البلـد
اهكـذا كـل ولـد ام لـم يلـد مثلـى احـد

وقـال اب يرقص ابنته :

كـريمـة يحبهـا ابـوهـا مليحـة العينيـن عذبـا فـوها
لا تحسن السب وان سبوها

وقال الزبير بن عبد المطلب يرقص اخاه العباس :

ان اخـى عبـاس عـف ذو كـرم فيـه عـن العـوراء ان قيلت صمم
يرتـاح للمجـد ويوفى بالـذمم وينحـر الكـوماء فى اليوم الشبم
اكرم باعراقك من خال وعم

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وله يرقص ابنته ام الحكم :

يـــا حبـــذا ام الحكـــم كـــأنهـــا ريـــم احـــم
يـــا بعلهـــا مـاذا يشـــم ســـاهم فيهـــا فسهـــم

ولنختم هذا الضرب بما روى فى المواهب اللدنية مماكانت ترقص به حليمة بنت ابى ذؤيب السعدية النبى صلى الله عليه وسلم فى صغره :

يـــا رب اذ أعطيتـــه فـــابقـــه واعلـــه الى العـــلا وارقـــه
وادحض اباطيل العدى بحقـه

وتغنت العرب لاثارة البهجة فى نفوس الفرحين ، والنفس تنزع لما يستخفها من طرب وتسعى اليه جاهدة ، فكان من لوازم الوليمة الغناء والموسيقى ، دخل الشعبى وليمـة فقال لاهلها : مالكم كانكم اجتمعتم على جنازة ! .. اين الغناء والدف ؟

وفى زواج على ابن ابى طالب كرم الله وجهـه بفاطمـة الزهراء عليها الرضوان ، غنى حمزة بـن يتيـم وعزف عمرو بن امية الضمرى على الدائرة ، وفى مسند الامام احمد بن حنبل بسند صحيح ، انه صلى الله عليه وسلم قال اعلنوا النكاح ، واجعلوه فى المساجد ، واضربوا عليه بالدفوف ورواه الترمذى عن عائشة ايضا ، وروى ابن ماجه عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل علينا حين تزوجت ابنة ابى لهب فقال يا عائشة انا كان معكم لهو ؟ فان الانصار يعجبهم اللهو ، وفى رواية الامام احمد عن عائشة : أأهـد يتم الجارية الى بعلها ؟ قالت نعم ، قال فبعثتم لها من يغنى ؟ قالت لا ، قال فهلا بعثتم معها من يقول : اتيناكم اتيناكم ، فحيونا نحييكم ، أو ما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل ؟ ! ..

وروى احمد عن عائشة ايضا : ان بعض الجوارى كن تغنين ايام عيد فى بيت عائشة ، فنهاهن ابو بكر الصديق رضى الله عنه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : دعهـن يا ابا بكر فانها ايام عيد ، لتعلم اليهود ان فى ديننـا فسحة ، وانى أرسلت بالحنيفة السمحة .

ووصف عبد الرحمان بن ابراهيم المخزومى حفلة ختان فقال : ارسلتنى امى اسأل عطاء بن ابى رباح عن مسألة فوجدته فى دار وعليه ملحفة معصفرة ، وهو جالس على منبر ، وقد ختن ابنه ، والطعام يوضع بين يديه وهو يأمر به ان يفرق فى الخلق ، فلهوت مع الصبيان العب بالجوز ، حتى اكل القوم وتفرقوا ، وبقى مع عطـاء خاصته ، فقالوا يا ابا محمد ، لو اذنت لنا فارسلنا الى الغريض وابن سريج ، فقال ماشئتم ، فارسلوا اليهما ، فلما اتيا قاموا معهما فدخلوا بهما بيتا ، فتغنيا وانا اسمع ، بدأ ابن سريج فنقر بالدف وتغنى بشعر كثير :

بليـــلى وجـارات لليـــلى كـــانهـــا نعـــاج الفـــلا تحـدى بهـــن الابـاعـر
امنقطـــع يـــا عـز مـــاكان بيننـــا وشاجرنى يـــا عز فيـــك الشواجـــر
اذا قيـــل هـــذا بيت عـــزة قـــادنى اليـــه الهوى واستعجلتنى البـــوادر

فكأن القوم قد نزل عليهم السبات وادركهم الغشى فكانوا كالاموات ، ثم غنى الغريض بصوت انسيته بلحـن آخر ، ثم غنى ابن سريج ووقع بالقضيب وأخذ الغريض الدف ينقرعليه فغنى بشعر الاخطل :

فقلـت اصبحـونـــا لا ابـا لا بيكـم ومـــا وضعوا الاثقـــال الا ليفعلوا
وقلـت اقتلـوهـا عنكـم بمـزاجهـا فـأكرم بهـــا مقتـولـــة حين تقتـل
انـــاخـــوا فجروا شاصيـات كانهـا رجـــال من السودان لم يتسربلـــوا

فو الله ما رأيتهم تحركوا ولا نطقوا الا مستمعين لما يقول . ثم غنيا معا بلحن واحد فخيل الى ان الارض تميد ، وتبينت ذلك فى عطاء ايضا .

وكان لحفل الزفاف عندهم يومان : يوم الاملاك ، وهو يوم العقد . وفى هذا اليوم يجتمع اهل الفتاة فى ساحـة الدار ، ويأتى أهل الفتى ، فيلتئم الجمع ، ويخطب ولى الزوج ويقبل ولى الزوجة ، ثم تنحر الجزر ، وتمد الاسمطة ،

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

ويسمع الغناء من مجالس النساء وقوالات المواشط ، وتسمى وليمة هذا اليوم : النقيعة ·

واليوم الثانى يوم البناء ، تلعب فيه الفتيان بالرماح، ويتسابقون على الجياد وتفرش البسط، وتشد الانماط، وتجلس النساء على النمارق وتجلى الفتاة ، وتلبس الحلى ، ثم تسير فى حشد من اترابها ، والنساء يغنين مشيدات بمآثر آبائها ، ومحامد قومها ، وقد يجلب اهل اليسار القيان فيغنين ، ويحفظ التاريخ اسماء عديد منهن ، كبعاد وثماد جرادتى معاوية بن بكر أمير مكة من جرهم ، وظبية والرباب جرادتى ابى زهير عبد الله بن جدعان بمكة ، وكبهوة واسماء قينتى عبد الله بن قيس بن عدى ، وسعدة وسيرين قينتى حسان بن ثابت بالمدينة ، ولم يشتغل الرجال بالغناء صناعة الا فى الاسلام ، كطويس المغنى ايام معاوية الذى كان يضرب الدف ويغنى بالاعراس ، ومثله الابجر المغنى الذى نشأ بعده ، ومن ماثور غناء الاعراس :

ومنهـا :

تغنيـــن تغنيـــن فللهـــو خلقتـــن
أتيـناكـم أتيـناكـم فحيـونـا نحييكـم
ولـــولا الحبـة السمـــراء لـم نحلـل بـــواديكـــم

والحبة السمراء كناية عن العروس

كما كان للموسيقى دور فى اسرار الكهانة والعرافـة واعمال السحر والشعوذة واستحضار الجن ، حتى انهم يطلقون على صوت الجن : العزف ، وكان لزمزمة الكاهـن وسجعه نغمات خاصة يمد بها صوته ، كما كان للنفاثات فى العقد مثل ذلك وفى اسفار الادب العربى امثلة كثيرة ·

كما كانت للعرب موسيقى خاصة فى ممارسة الطقـوس الدينية ، سواء من كان على الملة الحنفية ملة ابراهيم الخليل عليه السلام ، او من كان على ملة هود عليه السلام ـ قوم عاد ـ او من كان على ملة شعيب عليه السلام ـ قوم مدين ـ او من كان على ملة صالح عليه السلام ـ قـوم ثمود ـ او من اعتنق الموسوية او المسيحية ، او من انغمس فى الوثنية · ومن الامثلة : التلبية فى الحج ، والمك، فقد كانت العرب اذا حجت تطوف حول الكعبة يصفرون ويصفقون بأيديهم وكانوا يقولون لا يتم حجنا حتى ناتىمكان الكعبة فنمك فيه اى نصفـر صفيـر المكـاء ، وكتلبية نزار : لبيك ، ان الحمد لك ، والملك لاشريك لك ، الا شريك ، هو لك ، تملكه وما ملك ، وكتلبية عك : (يسير غلامان اسودان على جمل وقد تجردا فينادیان نحن غرابا عك ، فيصيح من خلفهما من عك ، عك اليك عانية عبادك اليمانية ، كما نحج الثانية ، على الشداد الناجية ، وكانت الموسيقى والغناء وما اليهما تلازم الصلاة الوثنية حول الكعبة فى الجاهلية ، قال تعالى : وما كان صلاتهم عند البيت الا مكـاء وتصدية : والمكاء الصفير والتصـدية التصفيق بالاكف ، وكانت العرب تفعل مثل ذلك بطوافهم حول كعبتى نجـران واليمـن وحـول الاقصير · قال ربيع بن ضبع الفزارى :

فـاننى والـــذى نعـم الالـه لـه حـــول الاقيصر تسبيـح وتهليـــل

والتغبير عند العرب يكون فى المراثى والنواح ، ويكثرفيه التهليل ، كما يطلق التغبير ايضا على ترديد الصوت بالنثر والقراءة فقال الزجاج ، سمى التغبير تغبيرا لانه يذكـر بالغابر أو بأحوال الآخرة ، وجاء فى القامـوس للفيروز آبادى : والمغبرة قوم يغبرون بذكر الله أى يهللون ويرددون الصوت بالقراءة وغيرها ، سموا بهـا لانهم يرغبون الناس فى الغابرة أى الباقية ·

وقد ابقى الاسلام من ذلك التهليل والتلبية بعد ان طهرها من أوهام الجاهلية ، وسن الآذان وقراءة القرآن ، ففى السنة الاولى للهجرة تشاور الصحابة فيما يجمعهم للصلاة فى مواقيتها أيتخذون بوقا كبوق اليهود الذى يدعون به لصلاتهم ، او ناقوسا كناقوس النصارى ، أو قرنا ، أو يوروا نارا ·· فرأى عبد الله بن زيد ـ رضى الله عنـه ـ فى نومه ، رجلا لقنه الآذان ، فلما أخبر النبى صلى الله عليه وسلم برؤياه قال : انها لرؤيا حق ان شاء الله ، فقم مع بلال فالقها عليه ، فليؤذن بها فانه اندى صوتا منك ·

وفى الحديث الشريف · ما بعث الله نبيا الا حسن الصوت · واخرج ابن ماجة فى سننه ، وابن حبان ، والبيهقى عن فضالة بن عبيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال : لله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقـرآن

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

من صاحب القينة الى قينته ، واخرج مسلم والامام احمد فى مسنده والنسائى وابن ماجة وابن حبان ، عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زينوا القرآن باصواتكم ، وفى رواية الدارمى ومحمد بن نصر ، حسنوا القرآن باصواتكم فـان الصوت الحسن يزيد القرآن حسنا وفى رواية الطبرانى عن ابن مسعود : حسن الصوت زينة القرآن ، واخرج البخارى ومسلم عن ابى موسى الا شعرى قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يا ابا موسى لو رايتنى وانا استمع قراءتك البارحة ، قلت أما والله لو علمت انك تسمع قراءتى لحبرتها لك تحبيرا ، وفى رواية للبخارىولمسلم ايضا واللفظ للبخارى ، قال عليه الصلاة والسلام لابى موسى : يا ابا موسى لقد اوتيت مزمارا منمزاميرآلداود،واخرج ابن ماجة فى سننه عن عائشة رضى الله عنها قالت ابطأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت ، فقال:اين كنت ؟ قالت:كنتاسمعقراءةرجل من اصحابك ، لم اسمع مثل قراءته وصوته من احد ، قالت ، فقام وقمت معه حتى استمع له ، ثم التفت الى فقال : هذا سالم مولى ابى حذيفة، الحمد لله الذىجعل فىامتىمثل هذا · والآثار كثيرة فى الموضوع يطول بناالحديث فى التقصى ، واشتهر فى العصر النبوى مع بلال بن رباح الحبشى وابى موسى الا شعرى حمزه بـن يتيم والبراء بـن مالك وسالم وابن ام مكتوم وابو محذورة وسعيـد القرط وعبيد الله بن ابى بكر الصديق ، ومالك بـن جبير الطائى وعمرو بن امية الضمرى ورياح بن المعترف وانجشه : وغيرهم كثير ·

اطوار الموسيقى العربية

الطور الاول : ما قبل التاريخ المعروف للموسيقى العربية ، وينتهى بابدال استعمال الكران بالمزهر خلال القرن السادس للميلاد ، ونجد نتفا من اخبار هذا العهد مبثوثة فى كتب الادب ودواوين العرب ·

الطور الثانى : يتميز باستعمال المزهر بدل الكران ، ونهضة دولتى المناذرة واللخميين وشيوع الغناء الحميرى فى امهات القرى ، وتقدم تجارة قريش باتساع رحلتى الشتاء والصيف ، الامر الذى تسبب فى جلب الجوارى من الآفاق وامتلاك الاثرياء للقيان ، وتنافس السراة فى اقتناء المحسنـات ، وينتهى بعـد منتصف القـرن السـابع وبالتحديد عصر البعثة النبوية ، واستعمال النضر بن الحرث بن كلدة للبربط (العود الفارسى) وكانت مميزات الغناء فى هذا الطور تقتصر على نوع الغرض للدلالة عليه ، وعرفت الانواع :

I) الحداء فى القوافل ويصنعونه فى الغالب من بحر الرجز · الذى كان البحر الشعبى الذى يسهل استعماله على العامة ـ والركبانى فرعه الذى انتخب منه وامتـازبتجويده ، والنصب فرعه الآخر الذى استعمله الركبان ، واتخذه الفتيان يرجعون به الاصوات فى الخلوات ، ويخرج من أصل الطويل فى العروض ويتلاءم معه ، وكان لغناء العبادين بالحيرة أثر فيه حتى عرف بالحيرى احيانا ·

2) السناد وهو النوع الثقيل من الغناء يكثر فيه الترجيع الكثير النغمـات والتهليل الملء النبرات ، فيشكل اللحن بالزخارف من التموجات والدورات التى يسمونها الزوائد ، وبقدر ما ترزق القينة من بسطة فى النفس وصفاء فى الصوت يكون مقامها فى اجادة الغناء ورويت عن العصر الجاهلى 27 صوتا عن القيان احد عشر صوتا من البسيط والطويل والكامل واثنا عشر صوتا من المنسرح والخفيف والجز والهزج والوافر والمقتضب وأربعـة اصوات ما بين مجزوء ومنهوك ، فمن بحر البسيط ما انشدته قينة النعمان بشعر النابغة :

يـا دار ميـة بالعليـاء فالسنـد اقوت وطـال عليهـا سالـف الامـد

وقيـان امرىء القيس :

ان الخليـط أجـد البيـن فادلجـوا وهـم كـذلـك فى آثـارهـم لجـج

واسماء وعثمة قينتا قريش :

ان الغزال الـذى كنتـم وحليتـه تقنـونـهلخطـوب الـدهر والغيـر

ولهما ايضا :

ابلغبنى النضر اعـلاهـا واسفلهـا ان الغـزال وبيت الله والـركـن

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

ومن بحر الطويل ما انشدته ابنة عفزر بشعر الحرث بن ظالم :

تعلم ، ابيت اللعن انى فاتك من اليوم او من بعده بابن جعفر

واسماء وعثمة :

ابوهة كرى الخمر بين صحابتى فان ندامای لديك عطاش

وجرادتا ابن جدعان :

عطاؤك زين لامرىء ان حبوته ببذل وما كل العطاء يزين

ومن بحر الكامل ما انشدته قيان جبلة بن الايهم بشعرحسان :

لله در عصابة نادمتهم يوما بجلق فى الزمان الاول

وسيرين قينة حسان بن ثابت بشعره :

اولاد جفنة عند قبر ابيهم قبر ابن ماريةالجواد المفضل

وقينةبالمدينة بشعر النابغة الذبيانى :

أمن آل ميةرائح او مغتد عجلان ذا زاد وغير مزود

وابنة عفزر بشعرامرىء القيس :

دار لهند والرباب وفرتنى وليس قبل حوادث الايام

ومن بحر المنسرح ما انشدته مليكة بشعر احيحة بنالجلاح:

يشتاق قلبى الى مليكة لو أمست قريبا ممن يطالبها

وما انشدته جرادتا ابن جدعان :

أقفر من اهله مصيف فبطن نخلة فالعريف

ومن بحر الخفيف ما انشدته قيان جبلة بشعر حسان :

لمن الدار اقفرت بمعان بين شاطى اليرموك فالصمان

وقيان عمرو بن الاطنابة بشعره :

علانى وعلا صاحبيا واسقيانى من المروق ريا

ومن الوافر ما انشدته قينة حمزة :

ألا يا حمز للشرف النواء وهن معقلات بالبناء

وما انشدته قينة

الا ياقين ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما

ومن بحر المقتضب ما انشدته سيرين قينة حسان بن ثابت :

هل على ويحكم ان لهوت من حرج

ومن بحر الهزج ما ينسب لقيان عاد :

الا يا قيل من عوص ومن عاد بن سام

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وما ينشد فى الاعراس :

اتيناكم اتيناكم فحيونا نحييكم
و ... تغنين تغنين فللهو خلقتن

ومن بحر الرجز ما ينسب لقيان العمالقة :

ابدى بعمليق وقومى فاركبى وبادرى الصبح بامر معجب

وجوارى بنى النجار :

نحن جوار من بنى النجار يا حبذا محمد من جار

ومن مجزوء الرجز ما انشدته نساء قريش فى احد :

نحن بنات طارق ** ان تهزموا نعانق **ونفرش النمارق
او تهزموا نفارق فراق غير وامق

ومن منهوك المنسرح ما انشدته فى احد ايضا :

ويها بنى عبد الدار * ويها حماة الادبار * ضربا بكل بتار ومن مجزوء الرمل ما ينسب لقيان عاد :

اننا قوم جعلنا من بنى عاد بن سام

3) ـ الهزج : النوع الخفيف يرقص عليه ويمشى بالدف والمزمار ، وتوقع عليه الصناجات وتختص به القيان ايضا ، ويكثر استعماله فى الاعراس .

4) ـ الارتجاز فى الحروب والغارات وفى مباشرة الاشغال الشاقة كالمتح من الآبار وما اليها ، وفى تنويم وتدليل الرضع والاطفال

5) ـ التغبير بالقراءة والتهليل والنواح ، ويلحق به المك (التصفير) والتصدية (التصفيق) .

الطور الثالث :

بظهور الاسلام تطور الحجاز فى جميع مناحى الحياة ،فكان فجر الاسلام عهد معرفة الدين والعلم ودرس الادب واللغة والفنون والتجديد الشعرى والتقدم الموسيقى ، وتطعمت حياة المجتمع العربى وبالاخص بمكة والمدينة باجناس جليبة حملت من البلدان المفتوحة كنشيط الفارسى وابن مسجح الخلاسى وابن سريج التركى والغريض البربرى وغيرهم كثير يفوقون الاحصاء .

وتميز هذا الطور بضبط الاغانى بالضروب وعرفت الموازين المدنية والموازين المكية ، واحتراف الرجال من الموالى صناعة الغناء وكان معظم من احترف بالغناء فى الجاهلية من النساء ، والاهتمام بتعليم القيان فى مدارس خاصة بذلك ، وشيوع استعمال البربط أالعود الفارسى أوالاشتغال بصنعه ، ويبتدى هذا الطور من النصف الاخير من القرن السابع للميلاد وعلى التحديد من خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ (23 هـ 644 م) ظهر الموسيقيون المحترفون من الذكور وفى سنة (42 هـ 662 م) (خلافة معاوية) بدأ ظهور الغناء المتقن المنضبط بالايقاع وعرف بانواع الضروب : (مدنى) الثقيل الاول وخفيفه والهزج و (مكى) الثقيل الثانى وخفيفه والرمل . وفى سنة 65 هـ 685 م شجع عبد الملك بن مروان المغنين وفى سنة 96 هـ 715 م عهد ازدهار الموسيقى وفى سنة 125 هـ 743 م اجزل الوليد الثانى بن يزيد للمغنين الصلات واضفى عليهم الود فكان بحق اول من رفع كرامة المحترفين من المغنين ، أقام سليمان ابن عبد الملك المسابقات وعين الجوائز وفى سنة 101 هـ 720 م كان عهد يزيد الثانى بن الوليد . وعرف الثقيل الاول بسائب خاثر المتوفى سنة 63 هـ 683 م وتفنن فى ابداعه وتمييز خفيفه معبد بن وهب المتوفى سنة 120 هـ 743 م كما عرف الثقيل الثانى بسعيد بن مسجح المتوفى سنة 94 هـ 713 م وتفنن فى ابداعه

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وافراد خفيفه عبيد بن سريج المتوفى سنة 106 هـ 725 م ـ وعرف الرمل بمسلم بن محرز المتوفى سنة 96 هـ 715 م وتفنن فى ابداعه ابن سريج واتقن طويس الذائب المتوفى سنة 91 ـ 710 م الهزج ، وتفنن فى ابداعه حكم الوادى المتوفى سنة 183 هـ 798 م والثقيل الاول يتالف من تسع نقرات : 3 ـ 1 ـ 5 · وخفيفه يتالف من سبع 2 ـ 1 ـ 4 · والثقيل الثانى يتالف من احدى عشرة نقرة 3 ـ 1 ـ 1 ـ 6 · وخفيفه 3 نقرات · ـ والرمل من 7 نقرات 1 ـ 2 ـ 4 · وخفيفه من نقرتين 2 ـ ·

والهزج من نقرة واحدة : 1 ـ ·· وخفيفه من نقرتين 2 ـ

واعلام الموسيقى فى هذا الطور : بمكة

1) ـ ابو عثمان سعيد بن مسجح مولى بنى نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ، ونسب ولاؤه فى غيرهم ، أسود ، اخذ غناء فرس العراق وادخله على الغناء العربى ، وضبطه بتوقيع القضيب واول صوت له فى شعر ابى الرقاع :

ألمم على طلل عفا متقادم بين الذؤيب وبين غيب الناعم
لولا الحياء وان راسى قد عسا فيه المشيب لزرت ام القاسم

2) ـ تلميذه ابو يحيى عبيد بن سريح مولى بنى نوفل بن الحرث بن عبد المطلب ايضا ونسب ولاؤه فى غيرهم · انقطع لعبد الله بن جعفر ، وهو تركى الارومة · اتقن الضرب بالبربط على الغناء العربى بمكة ، وحاز قصب السبق ·

3) ـ تلميذه ابو زيد عبد الملك الغريض البربرى مولى على بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر تفنن فى النواح ، وميزه على بقية الغناء ·

4) ـ ابو الخطاب مسلم بن محرز مولى عبد الدار بن قصى ، فارسى الاصل ، عرف بصناج العرب ، وهو اول من اكثر من الغناء فى اكثر من بيت فى صوت واحد ووضع الارمال المنضبطة المحكمات التى سارت مثلا يحتذى ·

وبالمدينة

1) ـ ابو جعفر سائب خاثر بن يسار مولى بنى ليث ، اصله من فىء كسرى ، وكان تاجرا موسرا يبيع الطعام ، تعرف على عبد الله بن جعفر فاصطفاه وشجعه وتعلم التوقيع على البربط على نشيط الفارسى عتيق عبد الله بن جعفر ، وسائب اول من صنع العود الفارسى بالمدينة وغنى به الغناء العربى ، واول صوت له :

لمن الديار رسومها قفر لعبت بها الارواح والقطر

2) ـ ابو عبد النعيم عيسى بن عبد الله الملقب بطويس الذائب مولى بنى مخزوم ، تميز بنقر الدف واول هزج له :

قد برانى الحب حتى كدت من وجدى اذوب

3) ـ جميلة مولاة الانصار ، المتوفاة قبل سنة 95 ـ 714 م التى جعلت من بيتها منتدى لسماع طرائف الفن ، ومدرسة لتخريج القيان بالصنعة · واخرجت الغناء الى مشهد عام يغنى فيه المغنون فرادى وازواجا وجماعات ، وبلغت فرقة العازفين فى مجلس من مجالسها الى خمسين ضاربة توقع اللحن على العيدان ، وضبطت الغناء مع الرقص الفردى والجمعى ، واتخذت لذلك الازياء الخاصة ، وكانت مرجعا فى ذوقها السليم ·

4) ـ ابو عبد معبد بن وهب مولى ابن قطن خلاسى قال فيه الشاعر :

أجاد طويس والسريجى بعده وما قصبات السبق الا لمعبد

نشر الغناء المتقن بدمشق عاصمة الخلافة الاموية ، وتلاميذه نشروه بالبصرة والكوفة ثم ببغداد · وتوفى فى معسكر الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125 ـ 126 هـ 743 ـ 744 م) وكان كثير الالحان على الاوزان الثقال الكثيرة النبرات المعقدة الصنعة التى يعجز الكثير عن التعرض لها ، فسبقت المدينة فى ذلك مكة ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

الطـــور الرابـــع :

يتميز بجمع اصوات الغناء وضبط نسبتها لاهلها ويبتدى من عهد الوليد الثانى الذى رفع مقام المغنين الى عصـــر المهدى العباسى 158 هـ 775 م ·

واعـــلام هـــذا الطور

1) يونس بن سليمان بن كرد مولى عمرو بن الزبير ، نشأ بالمدينة من اصل فارسى والتحق بكتاب الديوان ، اخذ عن ابن سريج وابن محرز والغريض ومعبد ، واكثرعن معبد ، اصطفاه الوليد بن يزيد فاستقر بدمشق ، وهو اول من دون الغناء فى كتاب الاغانى ونسبها الى من غنى بها ، وتوفى بعد سنة 126 هـ 744 م ·

2) ـ ابو الوليد مالك بن ابى السمح الطائى تخرج على معبد ، وادناه الوليد بن يزيد ، وعمر الى خلافة المنصور (136 هـ 754 م) وعاصر ابا جعفر محمد بن عائشة مـــن موالى قريش واصطفاهما الوليد معا قال اسحق الموصلى :

الغناء لاربعة مكيان ومدنيان ، فالمكيان ابن سريج وابن محرز ، والمدنيان معبد ومالك ·

3) ـ حنين بن بلوع الحيرى ، نصرانى من اهل الحيرة ،اخذ عن قيانها الى ان استقامت له الصنعة ، فشد باصوات حسان ، ثم اتقن فنه عن حكم الوادى وعمـــرو الـوادى فدانت له البراعة ، وتزعم المغنين بالعراق ، وعمـر فى الصنعة اكثر من نصف قرن ، ومات بعد ان تجاوز المائة بسبع سنين ·

4) ـ ابو عثمان يحيى بن مرزوق المكى مولى بنى امية ،حفظ اصوات المغنين وقدم مع الحجازيين عـلى المهـدى العباسى فى اول خلافته فبقى بالعراق ، ووضع كتابا فى الاغانى ونسبها واجناسها ، جمع فيه نحو الثلاثة آلاف صوت وخلفه ابنه ·

5) ـ ابو وهب عبد الله بن وهب المعروف بسياط مولى خزاعة ، استاذ ابن جامع وابراهم الموصلى ، اخذ عن يونس الكاتب وتزوج بام ابن جامع ، وتوفى ايام موسى الهادى (169 هـ 785 م ـ 170 هـ 786 م) واليه يرجع حفظ صحيح الاصوات ·

مميـــزات الموسيقى الحجازيـــة

أهم ما تمتاز به هذه الموسيقى :

اولا ـ الطابع الشعبى ، فلقد كانت وليدة شعـــورفطرى دفع باصحابه الى التعبير عن احاسيسهم بغنـــاء لايتحكم فيه الا الذوق والاذن الصافية ·

ثانيا ـ التعبير الصادق عن عواطف العصر واهوائـه فقد كان عصر التجديد فى الشعر حيث ظهر عن عمـر بن ابى ربيعة والعرجى والاحوص ونصيب وجميل بثينـــة وكثير عزة وغيرهم ممن امتاز شعره بصنوف الاحساسات والمشاعر والغزل الرقيق العف ، وقام الشعر بالنصيب الذى كانت تتطلبه منه الموسيقى ، فابن سريح يطلـب من ابن ابى ربيعة شعرا ليغنيه وهذا يطلب منه ان يصنع لحنا فى **شعر صاغه ، وجميلة تغنى فى شعر الاحوص** ، وهو يصنع الشعر لتغنيه جميلة · وهكذا ·

ثالثا ـ كانت تعقد مجالس الغناء يؤمها نخبة الذواقين للسماع ، وتستجاد عيون الشعر للانشاد لتعين بلاغـة الشعر براعة المغنى ، وكان يتناول الغزل العف ويمتدح الشمائل وكريم الخصال ، ثم اسرف فى اللهو لما كـــان عليه الوسط من الرخاء والترف والبعد عن النضال الحزبى المشتد اواره بالشام والعراق بؤرة الثورات والفتن ·

مفاضلـــة بين المغنيـــن

جميلة مولاة الانصار التى يقول عنها معبد اصل الغناء جميلة وفرعه نحن ، ولولا جميلة لم نكن نحن مغنين ··

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

فاضلت بين مغنيي عصرها مفاضلة لاتخلو من طرافة نورد خلاصتها :

روى هشام بن المرية عن جرير المدينى ان ابن سريجوالغريض وابن مسجح ومسلم بن محرز وفدوا على المدينة ونزلوا بدار جميلة وكان لديها معبد وابن عائشة فخرجواجميعا الى **العقيق (بظاهر المدينة) متنزهين** وتذاكروا الغناء وفنونه ، ثم اتفقوا ان يصنع كل منهم صوتا ممايتخيره من شعر فضلته امراة يغنيه ويحتكمون الى جميلة ... فلما كان الغد اجتمعوا بدار جميلة فابتدأ ابنسريج مقدم الصناعة بمكة بالغناء ثم تلاه معبد صاحب ارخم صوت بالمدينة ، فابن مسجح راس الصناعة بمكةفابن عائشة اتقن من غنى بالمدينة فابن محرز صناج العرب المكى فالغريض رائد الغناء المكى ، وكلهم امام فيصناعته علم فى فنه متقدم فى طريقته ، امتاز بعبقريته لاتجلسه دون مقام اقرانه ، ثم التفتوا لجميلة ليسمعواحكمها فقالت : كلكم محسن ، وكلكم مجيد فى غنائه ومذاهبه .

قال ابن عائشة ليس هذا بمقنع دون التفصيل ،وايدهالقوم ، فلما لم تجد مهربا عن التفصيل الا بحسن التخلص قالت :

اما انت يا ابا يحيى (ابن سريح) فتضحك الثكلى بحسن صوتك ومشاكلته للنفوس وبرقة غنائك وامنزاجه بالارواح ، واما انت يا ابا عباد (معبد) فنسيج وحدك بجودة تاليفك وحسن نظمك مع عذوبة غنائك ، واما انت يا ابا عثمان (ابن مسجح) فلك اولية هذا الامر وفضيلته ،واما انت يا ابا جعفر (ابن عائشة) فمع الخلفاء تصلح ، واما انت يا ابا الخطاب (ابن محرز) فلو قدمت احدا على نفسي لقدمتك ، واما انت يا مولى العبلات (الغريض) لو ابتدأت لقدمتك عليهم .

وبذلك ارضت جميعهم بحكمها ، وورت لفضيلة كلواحد وميزته ، بدون ان تغضب احدا وخرجت بحسن حيلتها من مازق حرج ومزلق ضيق يحار فى سلوكه ادهىالناس . ونبأمجالسها الثلاثة بعد حجها مع المغنين مذكورة فى كتب الاغانى قسمت فيها المغنين ابن سريح وابنمحرز والغريض ومعبد وابن عائشةونافعوبديح والهذليين وابن طنبوره ومالك طبقة الغناء الثقيل وطويس والدلالوهيت وبرد الفؤاد وندمة الضحى وفند ورحمة وهبة الله طبقة لغناء الخفيف ، والقيان طبقة اخرى على راسها عزةالميلاء .

مكانة الفن الموسيقى
فى المجتمع الاسلامى الاول

العربى ذواق بطبعه يطربه الصوت الحسن ويشجعه ويميل بحسه الرقيق الى الاقبال على الغناء وسماعه ، وكانت مكانته عند العرب تعادل مكانة الشعر ولا تنزلدونها . وجاء الاسلام والعرب تتذوق الحداء والنشيد وتقتنى القيان المجيدات فلم يعرض لصدهم ، وسمع الغناكثير من الصحابة والتابعين والائمة والعلماء والعباد و لزهاد ، وروى الامام الغزالى انه سمع الغناء من الصحابة عبد الله بن الزبير والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن ابى سفيان وعبد الله بن جعفر وغيرهم، كما جاء فى كتب السيرة سماع عمر بن الخطاب وحسان بن ثابت والنعمان بن بشير الانصارى وخلق ممن لايحصيهم عدد ، زيادة عنالحداء والحداة من الصحابة ، وباستقرار الدولة الاموية واتساع الفتوح اخذت الشام تطلب نصيبها من الترفيهوالمتعة وكانت لها سابقية من موسيقى الروم ، وتنافس اهل الثراء والعظماء فى اقتناء الجوارى والاحتفال بمجالسالانس والطرب شان الامم عندما تاخذ حظها من اليسار والترف واقبل الخلفاء من بنى امية على السماع ، فاقبلالخليفة يزيد بن عبد الملك على السماع من الغريض واقتنى حبابه وسلامة ، وتجاوزه فى ذلك الوليد بن يزيد فبالغفى اقتناء الجوارى واستدعى مشاهير المغنين من الحجاز كمعبد ، **وابن عائشة ومالك ويونس واغدق عليهم الصلات**

ووجد جنب مجالس الغناء التى يعقدها الخاصة مجالس انس وغناء تعقد فى اديرة الشام وفلسطين والعراق والحيرة يرتادها الخلعاء والمسرفون ولم تحرم من غشيانهاالعامة ، وكان للاديرة شان فى تقدم الموسيقى مذكور يروى فى شعر مجان الشعراء وكتب الادب وما هذا الاقبال السريع بمجرد استقرار المملكة الاسلامية على الغناء الا دليل على مكانته فى نفوس العرب .

ENNEJMA EZZAHRA

وممن نبغ فى الغناء بما رزقه الله من صوت حسن من الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وابراهيم بن سعد الزهرى ، وغيرهم كثير من خاصة القوم وابناء الخلائف بل ونسبت لبعض خلفاء بنى امية اصوات ·

نعم ان الاحتراف بصناعة الغناء كان محصورا فى طبقة الموالى رجالا ونساء فحذقوا الصنعة واقبلوا عليها وكسبوا منها الثروات والمكانة ، ولم يكن للعرب فى ذلك سهم الا القليل النادر · فلم يعرف من المغنين العرب المحترفين فى هذا العصر غير مالك بن ابى السمح الطائى الاب المخزومى الام ، وحنين بن بلوع الحيرى من بنى الحرث بن كعب · وبقية المشاهير من الموالى ، لان العرب كانت حينذاك مقبلة على ديوان الجند والفتوح ، ومن عاداتها لا تميل الى الصنائع جملة فتولاها الموالى ومهروا فيها ، وامتد بهم الميدان الى سائر الفنون والآداب الرفيعة والعلوم ·

تجارة القيان

تهافت الناس على السماع وطربهم للغناء روج تجارة القيان وتثقيفهن ، فكان التاجر يشترى الجوارى فيصنفهن، من تصلح للخدمة دربها عليها وكلف بها من يعلمها الخياطة والطبخ وما اليه من شؤون المنزل ، ومن تصلح للادب والعلم وجهها اليهما ، ومن رزقت صوتا شجيا تصلح به للغناء علمها الصنعة ودربها على الغناء والتوقيع على بعض الآلات الموسيقية وكانوا يتخيرون اتقاء الفتنة القيان من السوداوات والصفراوات وقالوا ان اول من علم الجوارى الحسناوات الغناء ابراهيم الموصلى ولم يكن ذلك من قبله شائعا ، الا انى لا اجد صحة لهذا القول لان عزة الميلاء وحبابة وسلامة وكثيرات كن على نصيب وافر من الجمال ·

وجد تجار القيان فى تعليم الجوارى صناعة الغناء تجارة رابحة يرتفع بها ثمنهن فاقبلوا على ذلك وعنوا به كابن رامين احد مشاهير تجار القيان بالمدينة الذى اشتهرت من جواريه سلامة الزرقاء وربيحة وسعدة ، وتهافت الاثرياء على شرائهن بابهظ الثمن · فلقد اشترى جعفر بن سليمان العباسى سلامة الزرقاء بثمانين الف درهم واشترى اخوه محمد ربيحة ، واشترى معن بن زائدة سعدة ·

وكابن شماس تاجر القيان بالمدينة ايضا الذى اشتهرت جواريه الشماسيات الثلاث الجارية السوداء خليدة المكية وعقلية العقيقة وربيحة الشماسية ·

وكيحيى بن نفيس التاجر الآخر بالمدينة ايضا الذى اشتهرت من جواريه بصبص التى قالوا عنها ان الخليفة العباسى المهدى اشتراها منه سرا فى خلافة ابيه المنصور فولدت له علية بنت المهدى اخت ابراهيم بن المهدى ، كما اولدها غيره يعقوب ابرع الناس فى الزمر ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

محاضـرة الاستاذ محمـد المـرزوقـى
الشعـر الملحـون
أقسامه وأغراضه

الادب الشعبى هـو ذلك الادب الـذى استعار لـهالشرقيون من أروبا كلمة فولكلور على خلاف فى صحة اطلاق هذه الكلمة على ما نسميه بالادب الشعبى بالضبطوقد حاول بعض المؤلفين جعل تعريف للادب الشعبى يشمل ما تشمله كلمة فولكلور وأحسن تعريف لذلكما ضبطه الدكتور حسين نصار بقوله : «الادب الشعبى هو الادب المجهول المؤلف العامى اللغة المتوارث جيـلابعد جيـل بالرواية الشفـوية» ٠

ولا يخفى ان هذا التعريف يشتمل على أربعة شروط هى جهلنا لمؤلفه وعاميه لغته ومرور أجيال عـدة عليـه حتى يصبح من كيان الشعب ووصوله الينا بالروايـةالشفـوية ٠

وبالنسبة الينا نحن العرب يتمثل الادب الشعبـىعندنا فى هذه الاغانى التى تردد فى المواسم والافـراح والاتـراح وفـى المثل السائر وفـى اللغز وفى هـذهالنداءات المسجوعة والمنظومة على السلع وغيرها وفى النكتة والنادرة وفى الاساطير التى تقصها العجائز وفى القصة الطويلة كألف ليلة وليلة وفى السير كسيرة بنى هلال وفى التمثيليات التقليدية كلعبة ـ أم رحمونه ـ الخ ٠

أما الشعر الملحون الذى نريد ان نتحدث عنه اليـومفهو أعم من الشعر الشعبى اذ يشمل كل شعر منظوم بالعامية سواء كان معروف المؤلف أو مجهوله وسواءروى من الكتب أو مشافهة وسواء دخل فى حياة الشعب فأصبح ملكا للشعب أو كان من شعر الخواص ٠

وهـذا اللحن لا نستطيع تحديد الزمن الذى حدثفيه اذ أن الروايات التى وصلتنا تقص علينا ان اللحن فى اللغة قد سمع فى عهد النبى صلى الله عليه وسلـموفى العهود التى تلت ذلك العهد بيد اننا نرجح انـه دخل اللغة الفصيحة وهى لغة الحجاز التى نزل بها القرآن الكريم منذ العهد الـذى اختلط فيـه العرب بالفـرس والروم والاحباش سواء من طريق التجارة أو من طريقالنفوذ السياسى وهذا الاختلاط سابق لعهد النبى على اننا نؤمن بان هذا اللحن كان قليلا جدا بحيث لا يؤبه له وكان اللحن موضع سخرية سامعيه وتندرهم ممـا جعل المتحدث بالفصحى يحافظ على قواعد النطق الفصيحويحاذر سقطات اللسـان ويدلنا عـلى سقوط مكانـة اللاحن عند العرب مـا روى ان النبى صلى الله عليـهوسلم سمع متحدثا لحن فى كلامه فقـال لاصحابـه : ـ ارشدوا أخاكم فقد ضل ـ وروى ان عمر رضى الله عنه كان يحذر من اللحن ويؤدب عليه وما روى من أن الخليفة الوليد ابن عبد الملك الاموى كان يعير فى شبابه باللحن فى كلامه ممـا جعل والده يشتد فـى تعليمـه الفصاحة وتقويم لسانه خوفا من عدم رضى العـرببخليفة لحان ٠

وبالرغم من اختلاط العرب بالامم المجاورة من فرسوروم وهنود وأقباط وبربر أيام الفتوحات الاسلاميـة الاولى فان اللحن بقى قليلا كامل مدة الدولة الامويـة التى كانت تحـافظ على العصبيـة العربيـة فتخصص الدواليب الحكومية والمراكز السياسية بالعرب ولكـنهذا اللحن انتشر كثيرا أيام الـدولة العباسيـة التى شركت الفرس والترك فـى الحكومة ويظهـر ان هـذاالاشتراك كان له أثر فىانتشار اللهجات العامية وظهور الشعر الملحون ٠

وأول ما وصلنا من هذا الشعـر يرجـع الى العصـرالعباسى الاول وعلى التحديد فى خلافـة المعتصم بـن الرشيدفى أول القرن الثالث للهجرة ، وانتشر اللحنبعد ذلك انتشارا كبيرا لا فى الاطراف البعيدة للدولة

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

العربية فحسب بل حتى فى الجزيرة العربية نفسها وهكذا ظهر الشعر الملحون عند القبائل العربية المختلفة ووصلتنا منه نماذج ترجع الى القرن الرابع للهجرة سواء فى القبائل التى تعيش فى الشرق أو فى الاوساط العربية التى كانت تعيش فى افريقية أو فى الاندلس ·

وهذه النماذج منها ما سماه مؤرخو الادب بالقصيد الزجلى كشعر الاعراب الوافدين على افريقية من هلال وسليم ومنها ما سموه بالزجل كالشعر الذى روى عن الاندلسيين واشبه فى موازينه الموشحات ·

أقسام الشعر : وما دمنا بصدد الحديث عن هذا اللون من الشعر المسمى بالملحون فلنتعرض الى ذكر بعض أقسامه عند القدماء ولو باشارة خاطفة ·

ان الشعر بصفة عامة يفرعه أصحاب هذا الفن الى سبعة فروع أو أقسام منها ثلاثة لا تكون عندهم الا باللغة الفصحى وهى القريض والموشح والدوبيت وذلك بغض النظر عن الخرجة المعروفة فى الموشحات الاندلسية التى تكون أحيانا عامية أو من لغة أجنبية والفروع الاربعة الباقية منها ما يكون عاميا صرفا ومنها ما يكون خليطا بين العامية والفصحى ·

1 ـ وأول هذه الاقسام ـ الموالیا ـ التى يقال ان أول من تغنى بها هى احدى جوارى البرامكة كانت تندبهم اثر نكبتهم بهذا اللون من الشعر العامى وتختم انشودتها دائما بقولها ياموالیه ومن هنا جاء اسم هذا النوع · ويقول النقاد ان هذا النوع ينظم غالبا على البحر البسيط وتتركب كل مقطوعة منه من أربعة أشطار أو أغصان متحدة القافية مع التزام الحرف السابق للروى فى الغالب مثل :

يوم الهوى كل من لو ردف ينفش بو
وكلما جاز على عاشق تحرش بو
وفى المطر كل من لو ساق يدهش بو
وتهلك أذيال من ساقو نبت عشبو

وترون انه التزم حرف الشين قبلها فى الاشطار الاربعة ومعنى الاشطار ان كل من لها ساق جميلة تعريها فى المطر فتفتن بها الناس أما من طال شعر ساقها فلا تعريها ولو خسرت ذيل كسائها ·

2 ـ القسم الثانى ـ الكان وكان ـ وقد ابتكره أهل بغداد وخصصوه بنظم الحكايات والخرافات ولذلك سموه بالكان وكان وقد انتشر هذا النوع بين الناس فاستعملوه فى مواضيع أخرى وافتتن به الصوفية والوعاظ فنظموا شطحاتهم ووعظهم على وزانه · والقصيد من هذا النوع يحتفظ دائما بوزن واحد فيكون الشطر الاول فى الغالب أطول من الثانى مع التزامهم بجعل الحرف السابق للروى حرف علة مثال ذلك :

يا قاسى القلب مالك تسمع وما عندك خبر ومن حرارة وعظى قد لانت الاحجار
أفنيت مالك وحالك فى كل ما لا ينفعك ليتك على ذى الحاله تقلع عن الاصرار
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل فكيف يا متخلف تحسب من الحضار

3 ـ القوما : وهذا النوع أيضا اخترعه أهل بغداد يتغنون به فى ليالى رمضان لايقاظ الناس الى السحور ومن هنا جاء اسمه وهذا النوع قسمان :

القسم الاول : يتألف دوره من أربعة أغصان ثلاثة منها متحدة القافية والرابع تهمل تقفيته وهذا الرابع هو الغصن الثالث مثاله قول صفى الدين الحلى :

لا زال سعدك جديد دايم وجدك سعيد
ولا برحت مهنا بكل صوم وعيد

والقسم الثانى : من القوما يتركب دوره من ثلاثة أغصان متفقة القافية أما ميزانها فمتدرج الاول أقصر من الثانى والثانى أقصر من الثالث مثاله قول الحلى أيضا :

اى قلب دعهم
ايش ترى اوقعك معهم

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

انكف عنهم قبل ما تظهر بدعهم

وهذه الاقسام الثلاثة من الملحون مازالت معروفة فى الشرق العربى الى اليوم على الاخص النوع الاخيرالقوما التى ابدع فيها المرحوم محمود بيرم التونسى ما شاء له الابداع • اما عندنا فىالمغرب العربى فيوجد بعض اشباه للنوعين الاولين لكن اسماءها تختلف فالموالیا مثلا تشبه لحد ما نوع (العروبى)عندنا والكانوكان تشبه فى ميزاتها (القسيم المثنى) اما القوما فلا اعرف لها نظيرا فى موازيننا وغالب ما عندنا من الشعر الملحون يرجع فى موازينه الى الزجل الاندلسى والى القصيدالزجلى الاعرابى •

4 – النوع الرابع الزجل وقد ابتدعه الاندلسيون ويمتاز هذا النوع بتجديد اوزانه وتعدد قوافيه ويقسمه النقاد الى قسمين القسم الطبيعى المعتاد وهو الذى يستخدم اللغة العامية استخداما مطلقا والقسم الثانى هو الذى يجمع بين الفصيح والدارجة ويسميه الزجالون بالمزنم أى المستلحق للزجل لا الاصيل وهذا النوع يحتقره الزجالون •

والزجل الاندلسى ليس شعرا شعبيا بالمعنىالصحيح لانه من انتاج طبقة على حظ عظيم من الثقافة ولغته خليط بين فصيح وعامى فى الغالب وهو متأثر بالقصيدة والموشحة الفصيحة وهو بعبارة ادق صنو الموشح ورفيقه حتىفى تاريخ نشأته وقدحدد الدكتورالاهوانى فى كتابه (الزجل) فى الاندلس نشاة الزجل باواخر القرن الرابع الهجرى وهو ما يشير اليه اغلب مؤرخو الآداب • اما ابن خلدون فيرى انه نشا بعد الموشح وعلى غراره ولذلك ماثله غالبا فى اوزانه واما صفى الدين الحلى فيرى انه امتداد طبيعى للقصيد الفصيح الذى عقبته القصيدة الزجلية المنظومة على عروض العرب ولو ان لغتها عامية وعقبت القصيدة الزجلية هذه الازجال المختلفة القوافى والاوزان فقال« اول ما نظموا الازجال جعلوها قصائد مقصدة وابياتا مجردة على عروض العرب بقافية واحدة كالقريض لا تغايره بغير اللحن واللفظ العامى وسموها القصائد الزجلية ثم عدلوا عنالوزن الواحد الى مقطوعات مختلفةالقوافى والاوزان » •

ورأى الحلى هذا مردود لانه من المتفق عليه انالازجال المختلفة القوافى والاوزان اول ما عرفت فى الاندلس فى زمن لم يعرف فيه المغرب العربى ولاالاندلس القصيدة الزجلية التى دخلت الى المغرب مع اعراب هلال وسليم منتصف القرن الخامس اللهم الاانيقال ان الحلى قصد من كلمة الزجل الشعر الملحون بصفة عامة وسياتى ان الملحون المعروف اليوم يرجعفى موازينه الى هذين اللونين اى الى القصيدة الزجلية والى الزجل الاندلسى •

وللزجل الاندلسى مثل الموشح لونان •

الاول : ماله طالع وادوارتختم بخرجاتتتفق قوافيهامع قافية الطالع ويسمى الكامل مثال ذلك قول ابن قزمان الاندلسى :

صرت عازب وكان لعمرى صواب لس نزوج حتى يشيب الغراب
انا تايب يا لس نقول بزواج ولا جلوه ولا عروس بتاج
لا رئاسة غير اللعب بالزجاج والمبيت بره والطعام والشراب

واللون الثانى : ما كان له ادوار تختم بخرجات اومكبات متحدة القافية الا انه بدون طالع ويسمى الاقرع مثاله قول مدغليس :

ورذاذا دق ينزل وشعاع الشمس يضرب
فترى الواحد يفضض وترى الاخر يذهب
والنبات يشرب ويسكر والغصون ترقص وتطرب
وتريد تجى الينا ثم تستحى وترجع

ولا يخفى عليكم قرب الشبه بين الزجل خصوصااللون الاول منه وبين بعضانواع الملزومة عندنا والشبه

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

يعظم بين الزجل والنوع المعروف عندنا (بالمحزوز) وهو من بقايا الزجل الاندلسى بلا ريب ولا تزال لغته هى لغة الزجل الى اليـــوم ٠

اما القصيدة الزجلية التى وردت الينا مع اعراب هلال وسليم منتصف القرن الخامس فهى عبارة عن قصيد نظم على عروض العرب اتحدت قوافى ابياته الا ان لغته عاميةدارجة وقد روى ابن خلدون فى مقدمته كثيـرا من هذه القصائد واثنى على بلاغتها ، وكثير منها قريب الشبـهفى ميزانه بنـوع القسيم المثنى عندنا فمن هـذا النوع قول مدغليس على عروض البحر الخفيف :

انما حقـــا لس وصلـت ضعيـف — قال لى دارما دار لك اذا ودعوك
لما جـالـى الفـــراق ودعتهـــم — لبسونى النحـــول كمـا لبسـوك
ذكـر اللـه من قد ذكرت بخيـر — كـذا يضـــا سمعتهـم يـذكـروك
قلت من حـق يذكـرونى المـلاح — قال لـى كيف لا نعـم وينتظـروك
قلت ان كـان ترجع لهم عن قريب — قل لهم عنـى يضـا ان سالـــوك

شـيء من التاريخ

لم يترك لنا التاريخاى اثر لشعر منظوم باللغة الدارجة(الشعر الملحون) قبل منتصف القـرن الخامس للهجرة اى قبل الزحفة الهلالية سنة 443 هـ ٠

وبالرغم من اعتقادنا ان لغة التخاطب فى ذلك الوقت قد دخل عليها شيء من التحريف فى الاعراب ، واختلطت ببعض الالفاظ الدخيلة من البربريـة والرومية فاننـا لا نشك ان الشعر كـان نظمـه مقصورا على الفصحى وان الاساليب والصـور لم تتخط مـا هو مستعمل فى بغدادوقرطبـــة ، واستمر ذلك حتـى الزحفة الهلالية ، فاذا بنوع من الشعر التونسى المنظوم بلغـة اولئك الاعرابيظهر للوجـود ٠

الحلقة الرابطـة بين الفصيح والملحـون

وشعر اولئك الاعراب لم تختلف موازينه عن الشعـرالقديم وهو فـى الواقع الحلقة التـى تصل بين الشعر الفصيح وبين الشعر الملحون الحديث لا فى لغته وصوره فقط ، بل حتى فى ميزانه احيانـا ، فاننا نجد من شعـر اولئك الاعراب مـا ينطبق ميزانـه على بحر من بحـورالشعر الفصيح وما ينطبق ميزانه علـى نوع من القسيم المثنى المتركب من غصنين المعروف عنـدنا فى الشعـر الملحون اليـوم ٠

تطـور الشعر :

والتغيير الذى ادخلتـه الزحفـة الهلالية على الشعر فى الفاظه واعرابه قد تعزز بورود الازجال الاندلسية على افريقية فى القرن الخامس والقرون التى تليه مع بعض العائلات والعلماء والادباء الراحلين الى الشرق لقضاء فريضة الحج او لطلب العلم فى العواصم الشرقية فهؤلاء هم الذين جلبوا معهم الزجل الاندلسى الى افريقية والى الشرق ٠

كما تعزز هذا التغيير بـورود الـوان من الملحـون البغدادى مع القوافل التى تجوب اطراف الدولة الاسلامية واستمر هذا التغيير متدرجا مـع العصـور ، ومع تقـادم العهد بالعربية الاولى واختلاط اللهجات وانتشار الجهـل وتقلص الثقافة ، الى ان وصل ما نعرفه اليوم من تغيير كامل فى موازينه والفاظه ، حتى اصبحنا لا نستطيع رد الموازين المختلفة اليوم الـى اصولها القديمـة ، وغدتالفاظه دارجة بعيدة فىلهجاتها عناللهجة العربيةالفصيحة اقول اللهجة ولا اقول اللغة لان اغلبها عربى باق على اصلهولو انه غير معـرب ٠

واعتقد ان النظم بلغتنا الدارجـة اليوم قد ظهر منـذالعهد الحفصى اى من اواخـر القـرن السابع فما بعـد بدليل اننا عثرنـا على بعض المقطوعات منظومة بلغتنا المعروفة اليوم كان يغنى بها فى ذلك العهـد ٠

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

حضـــرى وبـدوى:

يختص الشعر الحضرى فى تونس بخلوه من الصـورالشعرية الجميلة فىالغالب لانه منظوم علىنغمة موسيقية محدودة اى ان القصد من نظمه كان مقصورا على تأليفقوالب من الكلمات تسـاوق النغمة الموسيقية المقصودة واذا وجدت به صور شعريـة بليغة فان وجودها يكـونعفويا ، وغالبا توجد هذه الصور فـى منظـوم الشعراء المحترفين الذين يمتلكون حاسة شعرية منتبهـة وقدرةعلى خلق المعانى والصور الرائعة ٠

اما الشعر البدوى فهو غنى بالصور الشعرية الرائعةلان المقصود من نظمه هو تلك الصور المعينة والموازين المنغمة فيه امـر ثانوى عنـد الشاعر ولذلـك اقتصرتموازينه على القسيم والمسدس والملزومة والسوقـة التى تشبه بعض انواعها الارجاز والاهازيج فى الشعر الفصيح

ويمتاز الشعر البدوى فىتونس ـ خصوصا فى الجهاتالتى يقطنها احفاد هلال وسليم بمحافظته علـى الصـور الشعـريـة المعـروفـة فـى الشعـر العـربى القـديم خاصة الجاهلى فانك لا تكاد تفرق بين الصور التى جاء بها جماعة من الجنوب فى وصف الفرس والمهرى والمطروبين ما جاء فى شعر امرىء القيس وطرفة مثلا فى هذه المواضيع بالـذات ٠

ويظهر ان لتوافق المئاخ الذى عاش فيه القدماء والمحدثون واستمرار الحفاظ على العادات والتقاليد دخلا كبيرا فى هذه الظاهرة الشعرية ، فمناخ الجنوب التونسى مثلايقارب مناخ الجزيرة العربية والمناظر الارضية والاشجار متماثلة والعـادات والتقاليد القديمـة لا تزال آثارهـاظاهرة وحتى نفس الاساطير القديمة المعروفة فى العصر الجاهلى ما تزال ماثلة يقصها الناس مع شىء من التأقلم والتغيير مثل اسطورة (شن وطبقة) التى لا تزال معروفة يرويها الرواة مع شىء من التغيير والزيادة ٠

اهميـة الملحـون :

والشعر الملحونفى تونس له اهمية بالغة منالنواحىالادبية والسياسية والاجتماعية ، فهو يشتمل على آيات رائعة من الصور الشعرية والمعانى البليغة ، وهو يشاركفى اهم الاحداث الاجتماعية فيسجلها فـى صور متعددة وهو بالتالى يحتفظ برصيد زاخر من الوثائق التاريخية التى تسجل احداثا سياسية هـامة مما يصلح ان يكون مرجعا من المراجع التاريخية الهامة ، ومن الغـريب ان نجد العلامة ابن خلدون يقـول فى مقدمته عن الاغـانى التونسية فى زمنه : انه لم يتعلق بمحفوظه شىء لرداءتها وهو المؤرخ الباحث والاديب المطلع ٠

ولا يمكن ان نعتذر عن ابـن خلدون بانه لم يطلع الاعن بعض الاغانى الرديئة ما دام قد اورد هو نفسه شيئا من القصائد البليغة للتونسيين كقصيدة (خالد بن حمزه)التى اوردها فى قصائد الاعراب المختارة لبلاغتها وخالد ابن حمزه معـروف من رعايا تونس ومن شيوخ اعرابالكعـــوب ٠

واذا كان هناك عذر يلتمس لابن خلدون فهو حمله علىانه يقصد اغانـى العاصمة من النـوع الحضـرى الذى ذكرنا سابقا انه يخلو غالبا من الصور الشعرية ٠

فمن الصور الشعرية الرائعة فى الملحون التونسـى قول الشاعر :

مسكيـن جمـل النواعيـر بالهجـر ضـاقت خلوقـه
يسمـع فـى الماء بوذنيـه لا يشبحـه لا يـذوقـه

واذا عرفت ان جمل الناعورة تغطى عيناه اثناء دورانه لاستخـراج المـاء ظهـرت لـك الصـورة الشعـريـة الرائعة التى لا تقل روعة عن قول المعرى :

والعيس اقتل ما يكون لها الصـدى والمـاء فـوق ظهـورهـا محمـول

ومن ذلك ايضا قول الشاعـر :

ظبـوى خـد من هـز النسيـم قنـاعه استغفرت نحسـاب القمر فى القاعه

مركز المخطوطات العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

فهو يصف دهشة الشاعر عندما لمح فجأة امراة وقدرفع النسيم قناعها عن وجهها فتصور من دهشته انمعجزة حدثت بظهور قمر السماء على وجه الارض • وقال الآخر :

خسارة شبابى ضـاع لى فى المطـوى كل يوم كيف العمـر ينقص خطـوه

وقال الآخـــر :

الشيب والمعصيـة عيـب والزيـن حيـر دليلـى
سبب محنتى مسكة الجيب جـا جيلهـا بعـد جيلى

وقد سجل الشعر الملحـون جميـع مظاهر الحيـاة الاجتماعية واحداثها وتعرض للعادات والتقاليد والاخلاق العامة كما سجـل الاحداث السياسيـة واطوارهـا من ثورات شعبية ومعارك حربية وانتفاضات ضد المحتلين فى مختلف الازمان ، والنماذج من هذا اللون كثيرة جدا يحتـار الانسـان امـام اختيـار شـىء منهـا فهنـاك اشعار رائعة فى وقائع تاريخية وسياسية هامة كمقاومة الاحتـلال الفرنسـى وكـوقـائع الـزلاج والتجنيس والانتفاضات التحريرية التى قام بها الحزب الدستورى الجديد والثورة الاخيرة التى ادت الى الاستقلال ومعركة الجلاء الخ ، مما يصلح ان يجمع ويحفظ كوثائق تاريخية تصلح مرجعا هاما لتاريخ تونس الحديثة :

اغـــراض ومصطلحـــات

واغراض الشعر الملحون كثيرة ولها اسماء كثيرة خاصة فى اصطلاح ارباب الفن نذكر بعضها فيما يلى :

1 ـ **شعر الغزل والنسيب** يسمى عند ارباب هذاالفن بالاخضر ، وللغزليات مكانها المرموق عند شعراء الملحـون وفيهـا يعرف فضـل الشـاعـر عـلى غيره فهذا الباب يشترك فيه الجميع وينظم فيه كل من هب ودب وطريقتهم فى هذا الباب متحدة الاسلوب والاتجاه بحيث لا تستطيع أن تفرق بين شاعر وشاعر الا بمـا امتاز به كل واحد فى التعبير والتنظيم أما الطريقـةالتى يسيرون عليها فواحدة فهم لا يتجـاوزون وصف عواطفهم وتحرقهم وأشواقهم الى الحبيب ووصف جمال الحبيب والاغراق فى تشبيه أجزاء بدنـه جزءا جـزءا فالوجه يشبه عادة بالقمر والرقبة برقبة الغزال والعين بالسهم أو بالبندقية أو بعين الغزال والبقر والشعـر بالغسق والانف بمنقار الطائر الجارح الخ • ويجمعون مع وصف أجزاء البدن وصف الثياب والحلى •

وقـــد يتفنـن الشاعر فى قصـائـد الغزليات فيأتى باسلوب فى النظم يحشوه بأنواع من المحسنات البديعية فيقطع القصيدة الى تفاعيل ويجعل قـوافى التفاعيـل متحدة فتسمع لها موسيقى خاصة عند القائها وقـد يكون التفنن بشكل آخر فيعمد الشاعر مثلا الى اعادة لفظة مرتين أو ثلاثا متتابعة للتأكيد وتتكـون مـن ذلـك موسيقى تحمس فيها معنى الالحاح الذى يقصده الشاعر •

وفى هذا التفنن البديعى يتفاوت شعراء هذا الباب واذا تجـدد الشعـر الفصيـح فـى العهـد الاخيـر تجـدد فى اسلـوبه وفى نظمـه وحتى فى معـانيـه وأوزانه بسبب تلاقح الثقافات واتصال الشعوب ببعضها فان الشعر الملحون لم يدخل عليه أى تجديد لحد الآن والظاهر ان هذا نتيجة لعدم اهتمام المثقفين بممارسته كفن من فنون الادب •

من هذا الباب قول البرغوثى يصف عينى الحبيبة :

غروضات ريت الغرض بين هذبهم رعوبـات رعبـوا خاطـرى يرعبهـم
غـــروضـــات فـــى شـبـــوا نعيسـات دوبـا يغـازلـوا ويغبـوا
شواويطهـم فـوق الخـدود يـهبـوا جـنـاويح خطيفـة الهـوا شقلبهـم
منين شيعـوا وجهيـن فـى كبـوا كراطيش بو سته رقيق جعبهـم الخ

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية •
ENNEJMA EZZAHRA

ومن بـاب الغـزليات وداع الحبيب :

ووداع الاحباء موضوع قائم برأسه عنـد الشعراء مـنأقدم العصور وقد تفننوا فى وصف عواطفهم ومواقفهم فى يوم الوداع ، ولم يتخلف شعراء الملحون عن الولـوج فى هذا الباب والاجادة فيه ·

فلنستعرض معكم الآن انموذجا من هذا اللون مـنكلام الشاعر البرغوثى أيضا الذى أجاد وصف عواطفه وعـواطف حبيبته يوم الوداع ، وحبيبته هـذه كـانتبدوية من الاعراب الرحل ·

فهو يبتدىء قصيده بالتحدث عن النار التى أحسبها تشتعل بين ضلوعه عندما رأى حى محبوبته يحمل أدباشه على الابل المدوى رغاؤها ورغـاء أبنائها عنـدانبلاج الصبح فحملوا أدباشهم على أبلهم واستاقوها فى سرعـة والتحق الشاعر بهـم يودعهم ضائـع العقـلفاعترضته المحبوبة شارقة بدموعها وعاتبها على هـذا الفراق المفاجىء وكيف رضيت بتركه للوعة والشقـاءوانه قرر أن يهجر وطنه حتى لا يرى الاماكن التى تذكره بها وقد أجابته بانها مغصوبة على الرحيـل وان ذلـكـان بأمـر أوليـائهـا فـاذا قـدرت لـنـا الحـيـاة ربما جمعنا القدر من جديد وان متنا فنحن كغيرنا ممنفرق بينهم الموت ·

وهنا دعا لهـا الشاعر بأن تكون رحلتهـا طيبـة وأن لا ترى فيها شرا وتمنى على الله الذى قضى بفراقهما أن يقدر لقاءهما من جديد اذا بقيا على قيد الحياة ·

فودعته ورجع يدوس مدامعـه بقدميـه والتفت الىحبيبته فرآها تتلوى فى مشيتها وتتلفت الى جهته فـى خفية من عيون الرقباء الى أن اختفت خلف المرتفعـاتودخلوا بها صحراء موحشة لا تسكنها غير الوحوش ·

ومن ذلكالحين بقى قلب الشاعر مليئا بالاحـزانوانهارت صحته فكان الناس يعودونه فى مرضه ولكنه كان لشدة آلامه لا يدرى بمن جـاء ومن ذهب وكـانتمشيته دبيبا والاوجاع تلازم جميع جوارحه والنـاس لا يعرفون سبب آلامـه ·

ثم ختم الشاعر قصيده بطلب المولى جل جلالـه أن يغفر له سيئاتـه ·

أحيت نار الفرقة سامورهـا تقـوى — فى مكنونى لهبـوا جمـراتها قـدوا
وقت ان ريت مرادى مرحولها تحوى — والحيـران يـونـوا واماتهـم ثغـوا
منين الصبح ازيق م الشرق بان ضوه — فوق ابلهم هزوا من فجرهم سـروا
ساقوا كحيله راحت فىشورهاتتلوى — حاشوها وانزاحت فى ساع ما بطوا
لحقت نودع فيهم فى حال موش هو — سفاين عقلى ضاعوا رياسهم غدوا الخ

2 ـ الحمـــاس :

وهـذا يدخل عند أهل الفن فى (شعر الخطارى) وهووصف الوقائع الحـربيـة ويدخـل أحيانـا فى بـاب المساجـلات الفخـرية ·

ولا بأس أن أرجع بكم فى هذه المناسبة الى تاريخ قديم الى عهد الاحتلال 1881 فـى ذلـك التـاريخ نهض التونسيون من كل مكان فى وجه الفرنسييـن ، واذااستطاعت القوة أن تخمد المقاومة فانها لم تستطع أن تسكت السنـة الشعـراء ·

ومن هؤلاء فارس مدنين منصور الهوش الذى هاجرالى طرابلس مع المهاجرين ومن هناك كان يوالى الاغارة فى جماعة منفرسانه على سكان الجنوبيسلب وينهب ولما عوتب فى ذلك اجاب بانهم رضوا بحكم الكفار فهم اذن كفار وهو يقول فى هذا الصدد :

انا رزقكم كـــانه حـرام نعـافـه — وكانـه حلال الوطن جاه نشافه

***

نشـدتوش بـــن جـابـاللـــه — على خلاطكم فى خارجين الملـه

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

لقيتوش فـى طلاق الثـلاثة فله نشـدتوش اهـل العلم والعرافـه
كل من خـدم الكفـر وانطاعلـه حلوف بين العنقـره واكتافـه

3 ـ وصـف المطـر :

ويسمى عنـد اهل الفـن (البرق) ولا يكاد شعـراءالملحون يختلفون فـى طريقتهم فى وصف المطر عمـا اعتاده شعراء الفصيح فى القديم فيتعرضون عادة الـىوصف السحاب قبل وصوله اليهم والـى ضياء البرق واصوات الرعـود ثم يصفـون نـزول المطر واثـره فى الارض والسيول فـى الشعاب والاودية والـى انقشاع السحب ومنظر الارض بعد ذلك وفرحة الانسان والحيوان

ثم هم لا يقفون عند هذا الحد بل يتجاوزون ذلك الىوصف ما ينتج عن المطر من اعشاب وازدهار الاشجار والزروع ورحيلالاحياء (النجوع) الى الاراضى الممطورةووصف خيامهم وانعامهم ونسائهم وحفلات صيدهم الخ

فبعد مـا يصف الشاعر السحاب والبرق وصوت الرعد ونزول المطر يصف لنا ما يفعله بنات البادية فى مثـل هذا الموطن فيقول ان البنات اسرعن يحفرن اخـاديـــدحول خيامهن حتى يتسـرب معها ماء السيل بعيدا عن الخيام ، وهبطت السيول دافقة فعمت السفوح وجرتمع الاودية حتـى تكاد لا تفـرق بيـن الارض العاليـة والمنخفضة ، وهطلت الامطار من اول الليل الـى الفجر والبرق تخفق اضواؤه ممزقة الظلام فرويت ارضهـا وتفرق سحابها عنا واشرقت الشمس صباحا شديدة الحر وكان طـائر المكـاء يغنى وجنـود القطا لهـا دوى وارسل قائد الحى رائدا عارفـا ابن بيت كبير يركبعبيدهم الخيل (كناية عن الغنى والفضل) وهذا الرائد كان فارسا يستطيع خوض المعـامع منذ صغره فارتادالاراضـى ورجع يبشـر بوجود الخير فى كل مكـان واجتمع كبار الحـى يتشـاورون فى التجهـز للحراثـة وخرجوا الى حقـولهم فحرثوا كل حسب طاقتـه واراد الله اكرامهم فاغاثهم بمطر غزير موفى (الليالى السود) منالشتاء وتاكدت بذلك الصابة وسعد الاشقياء وانتشر خبـر خصب الارض فاعلنوا النجعة الى ارض الخيـربواسطة ضرب الطبل وارتحلوا بابلهم واغنامهم وركبوا الخيول المطهمة لابسينواحسن الالبسة واستاقوا جمالهمالمحملة بالهوادج المزينة بالوان الحرير اما النساء فقد لبسن احسن ما عندهن وكـانت عيونهن متجهة نحـوالشبان الذين كان لكل منهم حبيبة بينهن ·

وسبق الفرسان الابل المحملة ومعهم كلاب الصيدوصارت بنادقهم تنطلق فتجنـدل الكثيـر من الغزلان بينما يفلت بعضها مشردا فى الصحراء ·

ونزل حيهم حيث وجـد الخير والخصب والاعشابالمتنوعة التى يصعب تعداد اسمائها وقد تفتحت كنوز الارض فانتظمت خيامهم كالعقود ورعوا خيرات الارضصافية قلوبهم ليس فيها غل ولا حقد ·

نـــزل شبوبـــه بـــاد طش المطر عاملعجاج ركود
بنـــات العـرب عتـــاد فيساع ما ونوا بنوا سدود
جـــات حاملـه الاسنـاد وديانها تجرى بلاش حدود
لا واد رافـــــــع واد لا عـدت تفرق عالية م الهود
مـن اول الليـــل تمـــاد للفجر لن هز النهار عمود
برقـــه بـــــدا همـــاد روىبرنا ودارالسواحلرود

الخ ··

4 ـ شعره النجـــوع :

وشعر النجعة يشبه كثيرا شعر (البرق) والشعراء يتفقون فى اسلوب عرض هذا اللون فكلهـم يتحدث عـن انتقال حى الحبيبة الى ارض الخصب وقد يصف هنـا خصوبة هذه الارض وما نزل فيها من امطار وما نتج عنها من اعشاب وخيـرات واصفـا الابل المحملـة والاغنـام المنتشـرة فى المروج والنسـاء الجميـلات المتـزينـات ثم يفرد من بينهن محبوبتـه ثم يصف غالبا ـ شوقـه اليها والتحاقه بها وملاقاتها وتنبه الحى اليـه ومحـاولة الفتك به لولا اعتصامه بشجاعتـه وقوته فاستطاع انيرد المهاجمين على اعقابهم ويعصم نفسه منهـم ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

5 ـ وصف الخيـــل :

ويسمى عندهم بالكوت ، والكوت هو الفرس الذكروهذا اللون لا يقتصر على وصف الفرس وانما يتجاوزه الى وصف الشوق للحبيبة ووصف المسافات المخـوفـة التى تحول دونها وما فيها من حيوانات واخطار وعرض هذا اللون من الشعر يشابه جدا عـرض بعض المعلقاتفى الفصيح · ويضـاف الـى هذا اللون وصف الابل المهـريـة :

6 ـ الملاحـــم :

وعلى قدر ما كان محصول الملاحم قليلا جدا فـىالشعر الفصيح فـان محصولها غزير جدا فى الشعـر الملحـــون ·

فنحن نجد الملحمة الكاملة بجميع شروطها وأجزائها عند شعراء الملحون فى مختلف الازمان والبلدان ·

على ان اشهرهم فى هذا الباب الشاعر (ملاك) فقـــدنظم جميع الاساطيـر المعروفـة فى عصـره بمختلف الاساليب فسجل لنا قصة الجازيـة الهلالية مع زوجهاالشريف ابن هاشم ، وتمتاز هذه القصة بانها محليـة جعل الشاعر مسرحها ضفاف نهـر مجردة ويبتدئهـابقولـه :

الصبـر عجـرم مـر فى ذوقـانـه — وماذا تحلى عقـوبـة التصبيـر
العبـد مفتـاح الضميـر لسانه — الصمت حكمـه والعقـل تدبيـر

ومنها :

يحكـو قبـل ع الجـازيه العصرانه — هـى حـره ونـاسهـا محـاريـر
خطبها الشريـف تكـون من نسـوانه — قالتلـه هـا الشـى كيـف يصير
يـا لـو تعطـى خزنتـك مليـانـه — وتعطـى الـف وصيف والف بعيـر
اعطـاهـا ربـى بـالدرك والهانـه — يبس وطنهـا مـن قلـة التمطيـر
نجـع هـلال كـى صوبت فرسانـه — لشـور تونس علـى خيـول تسير
على (مجـرده) حطوا على وديانـه — يلقوا الـربيع مفتـق نـواويـر
ويلقو القطـا حـايم علـى غدرانـه — ويلقوا الرخـا من كل شـىء كثيـر
عـاش نجـع هـلال فـى بلدانـه — ويتخلـع فيـه الشـريـف اميـر
ثمـه الشـريف بعـث ليه اعوانـه — خطبها خـذاها الشى بالتيسيـر الـخ

كما نجد فىشعر ملاك قصة الاسرائيلية التى احياهاعيسى عليـه السلام رحمة بزوجهـا فتنكرت لزوجهـا كاملة الاجزاء فى اسلوب متين · فهو يقص عليك كيف تعاهد الزوجان اذا مات احدهما لا يفارق الثانى قبره حتى يموت فماتت الزوجة فنصب الزوج خيمة على قبر زوجتهالحسناء وجلس يبكيها فمربه سيدناعيسى عليهالسلام فرحم حزنه وطلب من الله أن يحييها فرجعت للحياة وأرقدت زوجها فى حجرها تلاطفه وتسرح له شعـره المشعث حتـى نام فمر بها فارس شاب جميل وعلم بقصتها فعرض عليهاترك زوجها والذهاب معه فوضعت رأس زوجها على حجر وذهبت مع الفارس فتزوجهـا واستيقظ زوجهـا وعلـم بذهابها مع فارس فجعل يبحث عنها حتى عرف مكانهـا واخبر عيسى عليه السلام فـأحضرها فانكرت معرفتهاللزوج الاول كما انكرت الموت والاحيـاء فحكم بـوضعها فى القبر فان كانت هى فسيكون القبر على قياسهـا وان كانت غيرها فسيكون اوسع او اضيق وحاول زوجهـا الثانى ان يكدس فوقها حملا من الاكسية والحلى حتـى تتضخم ولا يسعها القبر ولكن الله ليس بغافل عما يعمل الخائنون فوضعت فىالقبر وانطبق عليها وفارقت الحياةعقابا من الله لهـا على خيانتها ·

فيبدؤها ملاك بقولـــه :

يـا غافل نعطيـك امانـه — باريك النسـوه الخوانـــه

وبعد مقدمة طويلة فى خيانـة النسـاء وفـى خيانة محبـوبته وكيف قص عـلى الاسد الـذى اعترضه فـى

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

الصحراء قصته فتنهد الاسد وقال له ان الخيانة ليستمقصورة علىبنى آدم بل توجدايضاعنذ الحيوان وحكى له قصة خيانة لبؤته مع الخنزير البرى ثم وجد فارسافقص عليه قصة الاسرائليـة هذه بعد هذا كله يدخل فى ذكر القصـــة :

كـــان مـــات رزيـــه فـوق قبـره ينتم عمرهـا
كـــان مـــاتـت هـــى يبنـى خيمه فوق قبرهـا

∴

هـــذى زمنيـــة ماتت الطفلـه المسميـــه
جعل ليهـا خيمه مبنيـــه سكن بيها وسط الجبانـه

∴

كـابـــى متغمـــم يبكـى ويخبط فـى صدره
عيســـى بـــن مـريـم متعـــدى جاباتـه القدره

∴

قـــال ليـــه تكلـــم يا راجل فـى آش تخمـم
قالـه سيـدى ربـى يعلم عاطيهـا عـاهـد مولانـــا

∴

قـــالـــه باقـــوالـــه يتـوجـــه للـــرب دعايـا
قـــادر بـــافضـــالـــه يحييهـا سيـدى مـولايـا

∴

قبـــــل لقبـــالـــــه مد ايـده للـــرب تعـالى
واقـف سـاعـه بـالمنقـاله حياها له ربى سبحانه الخ

ومن بين الملاحم عدد ليس بالقليل تذكر فيه وقائع تاريخية أو حربيـة وقد عرفنا منها كثيـرا ووصفـت الاحداث الوطنية فى الاعوام الاخيرة وصفا رائعا ٠

7 ـ الالغـــاز :

ومـن هذا الباب نوع من الشعر يلقى فى مناسباتخاصة وله شهرة واسعة واعتبـار عظيم عنـد سكـان الارياف ذلك هو شعر الالغاز وهو عبـارة عن منظومـة تتحدث عن شىء تعطى أوصافه وتطلب منك معرفة ذلك الشىء فاذا اهتديت الى الحل فأنت ذكى ماهر وان لـم تهتد اليه فأنت جاهل بأساليب الفن ويسقط اعتبارك بين الناس ويسمى اللغز عند هؤلاء البـدو (الخبـو)ومناسباته تختلف باختلاف الجهات والاغـراض انمـا تتفق جهات الجمهورية التونسية فى مناسبـة (ربـاط العرس) وهذا الرباط يقع بين شاعرين يتزاحمان على تزعم الشعر عند المحتفلين ولذلك طريقة تكاد لا تختلف فى جميع الجهات ٠

وهذه الطريقة تتلخص فى أن يتقدم الشاعر الـذى يريد أن يربط العرس حسب تعبيرهم فيقدم اللغـز بقسيم من نوع مخصوص ثم يلقى باللغز ويختم بقسيم و اغنية ويكون هذا اللغـز موجهـا الى شـاعر مخصوص وهو الذى كان يغنى قبل صاحب اللغز فيقوم الشاعر المقصود فيرد بقسيم من نوع مخصوص أيضا ثم يحاول فى أغنية مرتجلة حل اللغز فان اهتدى الى ذلك ضج الاحتفالبالزغاريد والاستحسان وان لـم يهتد الى ذلـك فـان الشاعر يفتضح جهله ويرمى بالعجز ويغضب لذلـكأهله وأقاربـه ٠

ومن العادات المتبعة قديما فى هذه المناسبة انه بمجردالقاء الشاعر للغز (يعتبر الاحتفال مربوطا) وينتج عن ذلك أن لا يخرج من مكان الاحتفال أحد حتى يحل اللغزويحترم أهل البادية هذه الاحكام احتراما عجيبا وقـد يبقى العـرس مربوطا طول الليـل حتى يتطوع أحـدالشعراء لحله فان لم يتقدم لحله أحد فان أهل الاحتفال يطلبون من صاحب اللغز حله بنفسه وهناك يدخل فىعظمة وكبرياء بانتصاره الماحق عـلى الشعراء فيمهـد للحل بقسيم يفتخر فيه بنفسه وبشعره ثم يأتى بالحل ويخرج مشيعا بزغاريـد النسـاء ٠

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وطالما أدت هذه المزاحمات بين الشعراء الى معارك بين أنصار الشاعرين يسقط فيها عدد من الجرحى وقل أن تقابل هذه الالغاز والمزاحمات بروح رياضية ·

وأغانى الالغاز ليست مقصورة على ربط العرس بل تشمل كذلك مناسبات أخرى ، فتلقى فى الاجتماعات الادبية الخاصة فى الاسواق والنوادى والمقاهى وقد يرسلها بعض الشعراء الى زملائهم فيرد المرسل اليه على اللغز بأغنية فيها الحل واذا أخطأ رد له صاحب اللغز أغنية اخرى يذكر له فيها خطأه وقد يقتصر على ذكر الخطأ وقد يتجاوز ذلك الى اهداء الحل اليه ·

واذا كان المقام لا يتسع لذكر (رباط العرس) لما فيه من الطول والغموض الذى يستوجب شرحا وتفسيرا طويلا فاننا نذكر فيما يلى نوعا من الالغاز العادية التى تلقى عادة فى المجالس أو يرسلها الشعراء الى بعضهم من ذلك :

على حية جابت مولود — ميت من ليلة ميلاده
دمه على بعضه مهدود — وجسمه صامل على معتاده
لا ينطق بنفس يقود — وامه على وكره رداده
كيف راد حياته المعبود — كلمها بلسنه فى افاده

انثى من الحيوان ولدت مولودا ميتا منذ ولادته دمه مختلط ولكن جسمه متماسك حسب المعتاد وهو لا يتنفس وأمه تتردد على مكانه وعند ما أراد الله اخراجه للحياة كلم أمه وهو لا يزال داخل بطنه ·

وهذه كلها صفات بيضة الدجاج ·

8 ـ نقد المجتمع :

ويسمى عندهم بالعكس وهذه الكلمة جاءت من عمد الشاعر غالبا فى هذا النوع الى الرمز فيذكر الاشياء معكوسة فيجعل الفار متغلبا على القط والخروف متغلبا على الذئب كما فى المقطوع الآتى :
(I)

الداب (I) كاتب حجه — منه الضبوعه هاربه تتلجى
والكبش ريته جاب ذيب وقنجه (2) — وذريه جاوا مكتفين غصايب
البدعه الكبيره الفار رامى سرجه — وراكب على قطوس شارف شايب

9 ـ **شعر الوعظ والارشاد** وما يتبعه من توحيد وتصلية على النبى صلى الله عليه وسلم ويسمى عندهم بالمكفر فكأنما يكفر به الشاعر عن ذنوبه التى انجرت اليه من شعر التغزل والهجاء وهكذا يسميه المصريون أيضا · ونماذجه منتشرة انتشارا كبيرا ·

وأغراض أخرى كثيرة كالرثاء والعتاب والمراسلات ووصف الرحلات وشعر الحكم مما يطول شرحه فى مثل هذه المحاضرات المحدودة ·

توزر : محمد المرزوقى

(I) الداب : الحمار
قنجه : خنقه

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

خلاصة محاضرة الاستاذ محمد الحبيب التوزرى
فى اسبوع الفن
الجانب الادبى فى المسرحية

اسعدنى الحظ فى هذا الاسبوع المبارك ، فسمعت بعض الاساتذة يتحدثون فى تاريخ المسرحية والمسرح وتمنيت ان استمع لبعض الاحاديث التى تتناول المسرحية بالنقـد والتحليل ..

وفى هذه الاثنا، اقترحت على اللجنة الثقافية المحلية بتوزر ، أن القى محاضرة بمناسبة اسبوع الفن .. فاخترت ان يكون موضوعها : الجانب الادبى فى المسرحية ..

يمكن اجمال هذا الجانب فى ثلاث مراحل :

موضوع المسرحية ـ الحوار ـ فلسفة الكاتب فى المسرحية .

والذى الاحظه قبل مباشرة الموضوع ، ان الكلام فى المرحلة الاولى يجر حتما للمرحلـة الثالثـة واذن فسـوف لا التزم الترتيب السابق .

موضوع المسرحية :

الفن لا يصور من الحياة الا لبابها ومن هنا فليس كل موضوع صالحا للمسرحية اى ليست الحياة كلها صالحـة للمسرحية .. والناس بالطبع يختلفون فى تقدير هذه المو اقف : فما يحسبه هذا جوهرا يحسبه الآخر عرضا وما يعتبره هذا لبابا يعتبره آخر قشورا ، وبالجملة فموضوع المسرحية ينبغى أن يثير فينـا عواطـف الرحمـة ، وحب الانسانية او يعالج قضية ذات بال بحيث تنجر عنها مواقف خطيرة تغير تاريخ الاشخاص ..

من هذه المواضيع الطمع ، الذى كان ومازال يلازم الانسان .. وقد ادار شكسبير ـ مسرحية ماكبث على هذا الطمع ، وصور كيف زلزل عرش دانكان ـ وكيف قضى فى النهاية على صاحبه ، ماكبث البسيط الذى وجـدت فيه ـ لادى ماكبث ـ قرينته ، ارضا صالحة لزراعة شرها ، وعقلية خرافية استطاعت أن تسيطر عليها ...

ان ما كبث دخل طيب ، ولكنه طموح ايضا ... فضميره لاينى يوبخه على ما ارتكب من جرائم غير أن طموحـه تعززه اللادى ما كبث بما اوتيت من فن فى الحض والكيد ـ جعلا كفة الشر تتغلب فيه على كفة الخير .

ولولا طموح ماكبث ـ لما آمن بنبوءة الجنيات ولكن شكسبير لا يكتفى بهذه القوة الداخلية الهدامة الطموح بل يعززها بقوة خارجية ـ السيدة ماكبث ـ ليغرق هذا المسكين ماكبث فى بحر من الدماء ..

والغريب فى الامر ، ان يوقظ ضميره ، ليكون ثالثة الاثافى ..

طموح يدفع الى الهاوية وقرينة محبوبة فى حديثها اغراء وجاذبية وضمير تندلع منه نيران التانيب . هذا هو الثالوث الذى صبه شكسبير على رأس بطله ماكبث .. ولقائل أن يقول :

لماذا الضمير فى حياة ماكبث لماذا لم يرحمه الشاعر ؟ لماذا لم يخفف عنه ؟ غير ان الشاعـر لو فعـل لخرج به من حدود الانسانية التى لا تعدم الرحمة والضميـر مهما تخبطت فى الجريمة .. والضمير ايضا يطيل سياق المسرحية .. ولكنه أمر طبيعى لا تشم منه رائحة الفن المصنوع .. وفى النهاية فالضمير لاغنى عنه هنا حتى تنعكس اصداؤه

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

على ضمائر المتفرجين ·· ولعل ايقاظ الضمير هو هـــدف شكسبير فى هذه المسرحية ·· لكأنى بـه يريـد أن تنشط هذه القوة فينا ، لتستطيع مطاولة الاطماع ··

ل ومن المواضيع العصرية حياة الفنان ، وهل يؤثر فيها الزواج تأثيرا سيئا اولا ؟

على هذا السؤال يجيب الفنان الكبير توفيق الحكيم بمسرحية : العش الهادىء·· فيقرر أن الزواج ضد الفن ، حين يصور كاتبا يشرع فى كتابة قصة ـ فيلم ·· ويتزوج فينشغل عن مشروعه ··· تشغله زوجته وابنه منهـــا وتختم (العش الهادىء) دون ان يتم الكاتب قصته رغـــم الحاحات المخرج واذا كان الفن لايحتمل المزاحمـة حقـا ، فالذى يبدولى ان الفنان يفيد من الرابطة الزوجية لفنـه ان الروح الاجتماعية تنمو فى المتزوج اكثر منهـــا فى الاعزب ··· وما احوج الفنان لتلك الروح التى تسهـل عليه الغوص فى اقيانوس المجتمع الرحيب ···

ومن امتع المواضيع ـ الكترا ـ فى قصص اساتـــذة اليونان الكبار الثلاثة : اسخيلـــوس ـ سوفـوكليس يوربيدس ـ

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وحـى الجريـد

قصيد الشاعر الهاشمى بن الامين الخالدى

انظـروا جنـة يناغيهـا كـوثر ... تتجلى من بين واحـات « تـوزر »
والنسيم العليـل هفهـف والا ... طيـار تشـدو وحولهـا الياس نـور
يتسلى بحسنهـا كـل ولهـا ... ن اذا مـا راى المناظـر كبـر
يترك الغيـد والغـوانى حيـارى ... مـا لصب عـن حبهـن تجبـر
ذاب شـوقـا مـن قبـل فى حب سعـدى ... وسليـمـى والـطـرف أدعـج أحـور
أيهـا الـوالـه المتيـم مهـلا ... فعيـون « الجريـد » بـالحب أجـدر
سلسبيـل فـى عسجـد قـد تبـدى ... والرحيـق المختـوم منهـا تفجـر
كلمـا تشتهـى النفـوس وتبغـى ... أعيـن الـزائـريـن فيهـا تـوفـر
خلقتهـا الاقـدار أبـدع خلـق ... جـل مـن أنشـأ « الجريـد »وصور
هـو حسـن وروضـه مـعـدن الحسـ ... ـن ووصفـى لجنـة يتعـذر
هـا هـو الزهر فى المروج ترامى ... ينعـش الـروح بـالاريـج المعطـر
انهـا الـواحـة الجميلـة تختـا ... ل وفـى مـونـق الـدمقس تبختـر
ايـه يـا موطـن الشعـور ووحى ... ايـه يـا منيتى ويـا عقـد جـوهر
ايـه يـا فتنـة الـوجـود ويـا سحـ ... ـر جمـال وبسمـة تتخطـر
ليتنـى زهـرة تهـدهـدنـى الانـ ... ـسـام فيـك بيـن المروج مبعثـر
ليتنى فـى خمـائل الغـاب كالطفـ ... ـل وديعـا مـن العنـاء محـرر
ليتنى كـالهـزيج فـى الجـدول العـذ ... ب وأنـغـامـه كـرنـات مـزهـر
تتبـاهـى بـالنيـل مصـر ولكـن ... اين نيـل من « مشرع » فـوق « منشر »
« ابـن شبـاط » صـاغـه فـى ثـلاث ... ثـم سبـع لكـل جـزء مسطـر
كـل مـا فى الـوجـود من بهجة سكـ ... ـرى ففى واحـة الجريـد تبلـور
ولنقـل فـى الختـام يحيـا (حبيب) ... وزعيـم مجـاهـد ومحـرر

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

الـــــواحـــــة

قصيد الشاعر بدرالدين المؤدب

سر معى صـــاح عـــلى بيض الرمـــال مفعـــم النشـــوة مشبـــوب الخيـــال
بين واحـــات غـــدت اسمى مثـــال فى جمـــال رائـــع أيـــى جمـــال

*

فانظـــر الجـــو بـديعـــا فى صفائـه مشرق الطلعـــة وضـــاح المحيـــا
يسكب البهجـــة مـــن عليا سمائـــه فى فتـــون يستعيـــد الميـــت حيـــا
فى رواء ! فى نقـــاء !

واحـــة (الشباط) روض مونـــق تذهـــب الهـــم وداء الانفس
كـــل عـــود فى ثراهـــا مـــورق ايـــن منهـــا جنـــة الاندلس

*

من نخيـــل تصـــدح الطيـــر عليـــه كلمـــا نـــم حفيف الشجـــر
بلحـــون تجـــذب السمـــع اليـــه فـــاق فى التوقيـــع صوت الوتـــر
فى انشراح فى صفاء !

**

يـــا عـروسا بـــرزت فى جلـــوة تنثـــر الدر على كـــف الرمـــال
تتهـــادى طـــربـــا فى نخـــوة بـــين تيـــه وفخـــار ودلال

*

تحتهـــا السلسال ينساب نميـــرا صـــافى النبعـــة معسول المـــذاق
كلجيـــن ذائـــب يجـــرى غـزيـــرا فى التـــواء بيـــن طيـــات السواقى
فى انسكـــاب فى نماء !

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

وقطيـــع الـريـم يعـــــدو طـربـــا بين احضـــان الهضـــاب النـــاعمـــة
يقضـم الاعشـــاب مـــن نبـت الـربى والسهـــول الـزاهيـات البـــاسمـــة

*

فـــــاذا الصحـراء فيهـــا فتنـــــة تسحـر الالبـــاب مـــن فرط البهـــا
واذا ـ تـــوزر ـ فيهـــــا جنـــــة تلهـــم الـــــوحـى لاربـــاب النهـى
فى جمـال فى سنـــاء !

*

دام عيـــد الفـن للـــــواحـــات دهـرا تحت رمـز النهضـــــة الشهـم الحبيب
مـــن كســـا الخضـراء اجـلالا وفخـرا بعـــــد ويـــــلات وآلام تشيـــب

*

فـــاذا الشعـب جميعـــــا فـى نعيـــم شـــامـخ العـزة مـــوفـــور الكـرامة
عـش حبيب الشعـب يـــــا أوفى زعيم فـى انتصـــار واعتـزاز وســـلامـــة
فى جـلال فى عـلاء !

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

اسبـوع الفـن بتـــوزر

1 ـ خطاب السيد كاتب الدولة فى تدشين الاسبوع ص 3

2 ـ خطاب السيد الوالى فى تدشين الاسبوع ص 7

3 ـ اعمال اسبوع الفن بتوزر ونتائجه ص 9

4 ـ محاضرة الاستاذ عثمان الكعاك فى اسبوع الفن ص 16

5 ـ محاضرة الاستاذ محمد الحبيب فى اسبوع الفن ص 32

6 ـ محاضرة الاستاذ محمد المرزوقى فى اسبوع الفن ص 52

7 ـ خلاصة محاضرة الاستاذ محمد الحبيب التوزرى ص 63

8 ـ قصيد الشاعر الهاشمى بن الامين الخالدى ص 65

9 ـ قصيد الشاعر بدر الدين المؤدب ص 66

10 ـ موسيقى القطع التى اعدت لتدريب المشاركين فى الاسبوع ص 69

لوحتـا الغـلاف

بواجهتى الغـلاف لوحتان من اللوحات الزيتية الاربعة الناجحة فى الاسبوع ، فالوجه الاول به لوحة الشاب طارق العزوزى والوجـه الاخير به لوحة الشاب الحشانى الفيتورى ·

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

قطعة للفرق النحاسية "الواحة"

لرزباب

adl =

all التقليم

نهاية FIN

① marche

1e

2e

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

انموذج من نوبة "المزمـــوم"

الدخول ♩=100

♩=60

"تذكاركم عندى"

البطايحى

تقوم احدى الالات باستخبار مزموم

FIN

الطالع

"اليف يا سلطانى"

برول ♩=80

العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

تابع البرول "اليف ياسلطانى"

درج فى اسلوب برول "ياقلبى تصبر"

♩ = 190

FIN

♪ = 800

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

قطعة للفرق الوترية

"زمـــانى"

لزرياب

adl=

قانون

all=

Pzz

FIN

tm

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

انتهى طبعه فى 23 ديسمبر 1964

مطبعة كتابة الدولة للشؤون الثقافية

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA

مركز الموسيقى العربية والمتوسطية
ENNEJMA EZZAHRA